

محمود صلاح

أشهر الحوادث والقضايا

هارب من الإعدام

وحوادث أخرى

FAYROUZ2006
www.dvd4arab.com



اشهر
الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

•

بقلم
أ. محمود صلاح

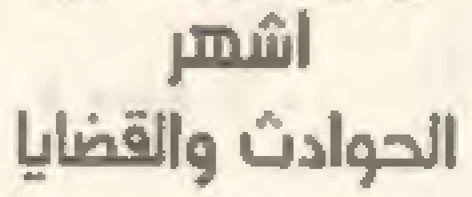
•

إشراف
الأستاذ / حمدى مصطفى

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ المطابع ٨، ١٠ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ـ ت : ٢٥٨١١٩٧ـ ٥٩٠٨٤٥٥ـ ٦٨٢٣٧٩٢ فاكس ـ ٢٠٢/٢٥٩٦٦٥٠ ج.م.ع ـ
الإسكندرية ٤ شارع بدوى / محرم بك ـ ت : ٠٣/٤٩٧٠٨٤٠ ـ ٠٣/٤٩٧٠٨٥٠

9





اشهر
الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

هارب من الإعدام

وحوادث أخرى

محمود صلاح

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية
٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية - الرقم البريدى ١١٣٨١
ت : ٦٨٥٥٥٤ - ٦٨٢٣٧٩٢ أو الرقم المجانى ٠٨٠٠٢٢٢٠٠٠٠

المقدمة

عندما تغضب الدنيا ..

تثور ثائرتها .. زلازل .. وفيضانات .. وسيولاً ..

وعندما تعمى بصيرة الإنسان ..

يشيع العنف على الأرض .. حوادث وحرائق ونارًا ..

لكنه أبدًا لا يتّعظ ..

لا من غضب الدنيا ..

ولا من شر أعماله !

محمود

أنا فى أبى ظبى وابنى مخطوف فى القاهرة !

عندما سمحت (سهير) لابنها الوحيد (سامح) ١١ سنة بأن ينزل يلعب فى الشارع بحى الخليفة مع أصحابه .. لم يكن يطرأ على بالها أبدًا أنها المرة الأخيرة فى حياتها التى سترى فيها ولدها الهادئ .. وأنها ستعيش أيامًا وشهورًا مليئة بالخوف والفزع والدموع .. هبط الظلام ولم يعد (سامح) .. وكانت أمه قد تعبت من الوقوف فى النافذة باحثة عنه ، فأسرعت بنفسها تسأل أصحابه .. قالوا لها (سامح) كان يلعب معنا .. ثم اختفى فجأة .

كالمجنونة هرعت إلى منازل الأقارب والمعارف لعل (سامح) يكون قد ذهب إلى أحدهم ، كان قلبها يدق بعنف وقد تجمع خوف كل السنوات على الولد الوحيد .. الذى يعمل والده منذ سنوات فى أبى ظبى .. وعادت إلى البيت أشد قلقًا لأنها لم تعثر عليه ولم يشاهده أحد ..

وفجأة دق جرس التليفون .. وقال شخص مجهول : (سامح) بخير !

صرخت الأم فزعة : ابنى .. أين ابنى ؟

قال المتحدث المجهول : (سامح) بخير .. وسيظل بخير إذا سمعت كلامنا .. لقد خطفناه ، والمطلوب فدية قدرها ٧٥ ألف جنيه .

صرخت الأم : منين أجيب الفلوس دى كلها ؟

رد المتحدث المجهول بعنف : مش شغلنا .. وحذار من إبلاغ البوليس ، ثم أغلق التليفون فى وجهها .

* * *

ماذا تفعل ؟ إنها وحيدة ، زوجها على بعد آلاف الأميال .. وأسرعت تتصل بشرطة النجدة ، فأبلغوها أن عليها أن تذهب إلى قسم الشرطة .. جرت إلى هناك تروى القصة كاملة .

ومضى يوم ..

ثم دق جرس التليفون مرة أخرى ..

وقال المتحدث المجهول : أمامك ٧٢ ساعة لإحضار مبلغ الفدية .. وإلا سيقتل الطفل (سامح) .

وأسرعت الأم (سهير سلامة مصطفى) تتصل بزوجها فى أبى ظبى ، وتطلب منه الحضور ومعه مبلغ الفدية فورًا .. إن كل أموال الدنيا لا تساوى شيئًا أمام حياة طفلها الوحيد .

ورغم ذلك فإن الأب المسكين لم يكن يحمل ذلك المبلغ الكبير .. وسقطت منه سماعة التليفون وهو يبكى على طفله .. وتجمع حوله زملاؤه المصريون هناك .. وعندما عرفوا القصة ، قالوا له : ولا يهمك .. كل واحد منا يدفع مبلغا على سبيل القرض حتى نجمع مبلغ الـ ٧٥ ألف جنيه .. فلوسنا فداء لطفلك (سامح) ومسح الأب دموعه ..

وخلال ٢٤ ساعة كان يركب أول طائرة متجهة إلى القاهرة وهو يحمل مبلغ الفدية .. كان يرتعش منفعلاً كلما تصور أن طفله المخطوف سيعود إليه ، سيحتضنه ويقبله ..

هكذا كانت آماله تصور له ..

لكن الأحداث كانت تخبئ له أخبارًا .. سوداء .

* * *

كان رجال المباحث قد بدءوا فى عملية مسح شاملة للبحث عن الطفل (سامح) .. وكان اللواء (عصام نجم) مدير البحث الجنائى بالقاهرة والعميد فادى الحبشى رئيس مباحث العاصمة قد طلبا من العقيد (علاء مقلد) مفتش المباحث كشف غموض الحادث والعثور على (سامح) والقبض على الجناة فى أسرع وقت .

ومرة ثالثة دق جرس التليفون ، وقال المتحدث المجهول : عليكم بوضع مبلغ الفدية أسفل سيارة مغلقة فى جراج بالقرب من منزل الطفل (سامح) ، ثم أغلق السماعة بسرعة .. وأسرع رجال المباحث إلى الجراج للقبض على المختطف .. لكنهم تسمروا فى أماكنهم ذهولاً من بشاعة المشهد .. كانت جثة الطفل (سامح) ملقاة أسفل السيارة وقد مزق القاتل المجهول جسده بعشر طعنات قاتلة ، ثم ذبحه .. كان واضحًا أن الطفل اليائس فى لحظاته الأخيرة قاوم المختطف المجهول . فاضطر لأن يذبحه كالشاة بهذه الطريقة البشعة .

وبجوار جثة الطفل (سامح) .. عثر رجال المباحث على خاتم ملوث بالدماء .

★ ★ ★

وجن جنون رجال المباحث .. وأصروا على القبض على القاتل المجنون فى أسرع وقت وبأى ثمن .. فانتشروا فى كل مكان بحى الخليفة يبحثون ويتحرون ويسألون مئات الأشخاص ، لكنهم كانوا مثل الذى يبحث عن إبرة فى كومة من القش .

ولم يتوقف رجال المباحث حتى عثروا على أول الخيط .. عثروا على طالب فاشل .. وجلسوا يحاصرونه بالأسئلة ..

فى البداية كان مترددًا ، لكنه سرعان ما انهار ، وبدأ يكشف لغز الجريمة البشعة .

قال : ربما .. أعرف القاتل !

★ ★ ★

اعترف الطالب بأنه واحد من « شلة » من الطلبة الفاشلين .. وأحدهم طالب جامعى فاشل يدعى (حمادة) يسكن بجوار منزل الطفل القتيل (سامح) .. وقال : إن (حمادة) هذا عرض عليه ذات يوم أن يشترك معه فى خطف شخص وطلب فدية كبيرة .. لكنه خاف ورفض الفكرة من أساسها ، لكنه شعر أن (حمادة) كان مصممًا على تنفيذ فكرته الجنونية .

وأسرع رجال المباحث إلى منزل الطالب الفاشل (حمادة) وألقوا القبض عليه ، وكانت المفاجأة أنهم عثروا فى منزله على بعض ملابسه وهى ملوثة بالدماء .. وعندما سألوه عنها ..

قال بجرأة : لقد ذبحنا خروفًا فى المنزل ..

لكنهم لاحظوا آثارًا فى إصبعه تدل على أنه كان يرتدى خاتمًا .

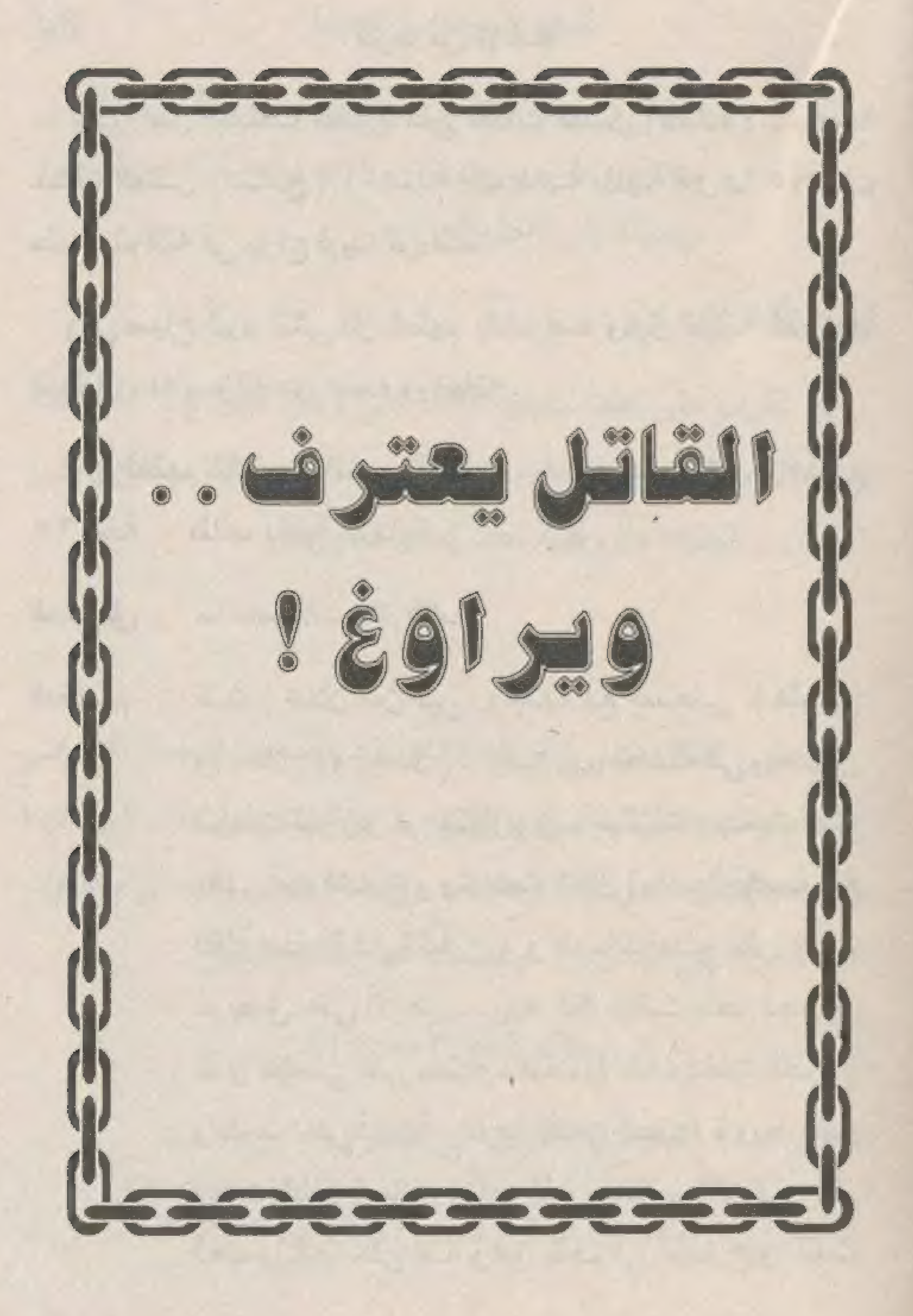
فقال : كان عندى خاتم .. لكنه ضاع .

وهنا .. وعندما قدم له رجال المباحث الخـاتم الذى عثروا عليه بجوار جثة الطفل (سامح) ارتبك ..

لكن المفاجأة الثانيـة كانت .. أنهم عنـدما حاولوا إدخال الخـاتم فى إصبعه .. دخل الخاتم بسهولة وانهار القاتل .

وبدأت تحقيقات النيابة فى الجريمة البشعة ، وكـانت مليئـة بحقـائق غريبة ومثيرة ..

★ ★ ★



ألقى رجال المباحث القبض على الطالب الفاشل (حمادة) .. بتهمة خطف الطفل (سامح) ١١ سنة والمطالبة بفدية قدرها ٧٥ ألف جنيه ، ثم قتله فى جراج قريب من مسكنه .

وفى صباح اليوم التالى كان المتهم يقف أمام وكيل النيابة الذى بدأ التحقيق معه بسؤاله عن اسمه ووظيفته ..

قال المتهم الشاب : اسمى (محمد محمود حسن) .. وعمرى ٢٥ سنة .. طالب بكلية التجارة .

المحقق : ما تفصيلات اعترافك ؟

المتهم : كنت زعلان من أبى ، وأقمت مع أصحابى (هشام) و(صلاح) و(جمال) .. وفى يوم الحادث فى رمضان شاهدت الفوازير فى التليفزيون .. ثم نزلت وجلست على مقهى أمام الشارع .. وشاهدت الطفل (سامح) يلعب مع طفلة صغيرة فى الشارع .. وعندما شاهدنى نظر إلى ، ثم بصق على الأرض .. وبعد ذلك التقيت بأحد الجيران الذى عزمنى على سيجارة فأخذتها منه ودخلت الجراج وجلست على دراجة بخارية لأدخن السيجارة وبعد قليل وجدت الطفل (سامح) يكرر نفس فعلته .. نظر إلى .. ثم ذهب ونادى على أمه وهو يقف فى الشارع وتحدث

معها .. ثم عاد لينظر لى من جديد وكأنه يحتقرنى ويشمئز منى .. جريت وراءه وأمسكته من رقبته وجذبته إلى داخل الجراج ..

وسألته : ليه كده ..

ثم عثرت على قطعة حديدية ملقاة على أرض الجراج ، فأمسكته وضربته بها .. ولم أتذكر عدد المرات .. وقع (سامح) على الأرض .. فجذبته من رقبته تحت إحدى السيارات ..

★ ★ ★

ومضى القاتل يكمل اعترافه قائلاً : بعد ما حدث أسرعت إلى الحمام وشعرت بالميل إلى القىء .. ونظرت إلى يدى فوجدتها ملوثة بالدماء فأسرعت أغسلها ، وقمت بتغيير ملابسى وهبطت مرة أخرى إلى الشارع .. واتصلت تليفونياً بخطيبتى .

المحقق : ما هى صلتك بالطفل (سامح) ؟

المتهم : المنزلان متقابلان فى الشارع ..

المحقق : ماذا كان الطفل (سامح) يفعل قبل الحادث ؟

المتهـم : كان يسير بطريقة عادية مع طفلة صغيرة .

المحقـق : إذن ما الذى أثار انتباهك عندما شاهدته ؟

المتهـم : لاشىء .. غير أنه نظر إلىّ ثم بصق على الأرض .

المحقـق : وماذا فعلت تجاه هذا التصرف ؟

المتهـم : أول مرة لم أهتم بتصرفه هذا .

المحقـق : ولماذا لم تصعد إلى مسكنك بعد ذلك ؟

المتهـم : التقيت بأحد أصدقائى الذى أعطانى سيجارة وقلت لنفسى أدخنها أمام الجراج .

المحقـق : وأين ذهب الطفل (سامح) بعد ذلك ؟

المتهـم : دخل منزله ثم خرج مرة أخرى .. وكرر نفس التصرف .. نظر إلىّ ثم بصق على الأرض .

المحقـق : ألم تسأله لِمَ يفعل ذلك ؟

المتهـم : نعم ، لم أسأله ..

المحقـق : لكن لماذا فعل ذلك ؟

المتهـم : مؤكد بسبب الخلافات التى بين أسرته وبين أسرتى .. فقد كان ابن عمته قد خطب شقيقتى ثم حدثت مشاكل وانتهت الخطبة .. وكانت أسرتى تعتقد أن أسرة (سامح) تلجأ إلى الشعوذة .. ومن هنا كانت الخلافات .

المحقـق : وهل تدخلت أنت فى هذه الخلافات ؟

المتهـم : لم يكن لى أى دور فيها .

المحقـق : ماذا كان دور والدة الطفل (سامح) فى هذه الخلافات ؟

المتهـم : هى كانت بعيدة عن هذا الموضوع .

المحقـق : إذن كيف تبرر تصرف الطفل (سامح) معك ؟

المتهـم : أكيد سمع كلام والدته حول الخلافات .

★ ★ ★

ومرة أخرى عاد القاتل ليوضح طريقة ارتكابه لجريمة قتل الطفل (سامح) .

فقال : جريت عليه وأمسكته من رقبته من الخلف بيدى اليمنى وجذبته بشدة إلى داخل الجراج .

المحقـق : هل قاومك ؟

المتهـم : لا .

المحقـق : وهل استغاث ؟

المتهـم : لا .

المحقـق : ماذا كنت تريد بجذبه داخل الجراج ؟

المتهـم : كنت أريد أن أضغط عليـه حتى لا يكرر فعلتـه ؛ لأنـه غاظنى بشدة .

المحقـق : وماذا فعل وأنت تجذبه ؟

المتهـم : كان يسير وأنا أجذبه لحوالى سبعة أمتار .

المحقـق : كيف إذن ضربته ؟

المتهـم : كان الجراج مظلمًا وعندما عثرت على القطعة الحديدية ضربته فى ظهره ، ولا أذكر أين ضربته بعد ذلك ؛ لأنـى لم أشعر بنفسى وعندما سقط على الأرض دفعته أسفل إحدى السيارات .

المحقـق : لكن المعاينـة أثبتت وجـود طعنـات فى رقبة الطفـل (سامح) ؟

المتهـم : لم أشعر إلا بالضربـة التـى طعنتـه بهـا فـى ظهـره ، ولا أذكر عدد الطعنات الأخرى .

المحقـق : وماذا حدث بعد ذلك ؟

المتهـم : لا أذكر .. سقط (سامح) على الأرض ولم يعد يتحـرك فجذبته إلى أسفل السيارة .

المحقـق : هل تيقنت من موته ؟

المتهـم : لا .. تركته عندما لم يعد يتحرك .

* * *

هكذا حاول (حمادة) أن يصـور أنه ارتكب جريمته بسبب فقدانـه شعوره ، لما زعمه من أن الطفل (سامح) قد بصق عليه .

ولكن المحقق سأله : ما هو قولك فيما قررته والدة الطفل (سامح) أنه فى يوم اختفائه وصلتها مكالمة تليفونية من شخص صوتـه يشبه صوتك ويخبرها بضرورة وضـع مبلغ ٧٥ ألـف جنيـه مقابل عودة (سامح) ؟

المتهـم : لا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع .

المحقـق : وما قولك فى أنها قالت إنك قد عاودت الاتصال بها مرة أخرى لتخبرها بوضع المبلغ فى آخر سيارة بالجراج ، والتى وجدت أسفلها جثة الطفل (سامح) ؟

المتهـم : أيضًا .. لا أعرف شيئًا عن ذلك .

المحقـق : لقد قررت أنها تلقت المكالمة الأولى بعد منتصف الليل والثانية فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ؟

المتهـم : فى ذلك الوقت كنت أحدث خطيبتى .

المحقـق : لقد اتهمتك الأم بخطف (سامح) ؟

المتهـم : لا أعرف .. سوى أننى ضربته فقط .

★ ★ ★

كان واضحًا أن القاتل متمالكًا لأعصابه مسيطرًا على انفعالـه .. وكأن يناور المحقق وهو يجيب على أسئلته .

ويحاول جاهدًا أن يصور الجريمة على أنها كانت وليدة انفعال لحظى منه .. ولم تكن جريمة مدبرة بهدف الحصول على مبلغ الفدية .. لكن

تحقيقات النيابة وأقوال والدة الطفل (سامح) وشقيقته الصغيرة الوحيدة وأقوال الشهود الذين قررت النيابة استدعاءهم لسماع أقوالهم .. أنت تقول كلامًا غير كلام القاتل .

فماذا قالوا ؟

★ ★ ★

كان القاتل الفاشل (حمادة) يحاول أمام النيابة أن يحول جريمته البشعة بخطف الطفل (سامح) والمطالبة بفدية قدرها ٢٥ ألف جنيه ثم ذبحه الطفل المسكين كالشاة .. على أنها جريمة ضرب أفضى إلى موت بزعم أن الطفل أثاره عندما بصق على الأرض أمامه .. لكن كل الدلائل كانت ترسم تفاصيل الجريمة البشعة المدبرة .. بل إن القاتل مضى بنفسه فى نهاية التحقيق معه يؤكد جريمته ..

سأله المحقق عن ملابسه الملوثة بالدماء وحذائه أيضًا .

قال : نعم هى ملابسى وحذائى وكنت أرتديها وقت أن قتلت (سامح) .

المحقق : وما سبب تلوثها بالدماء ؟

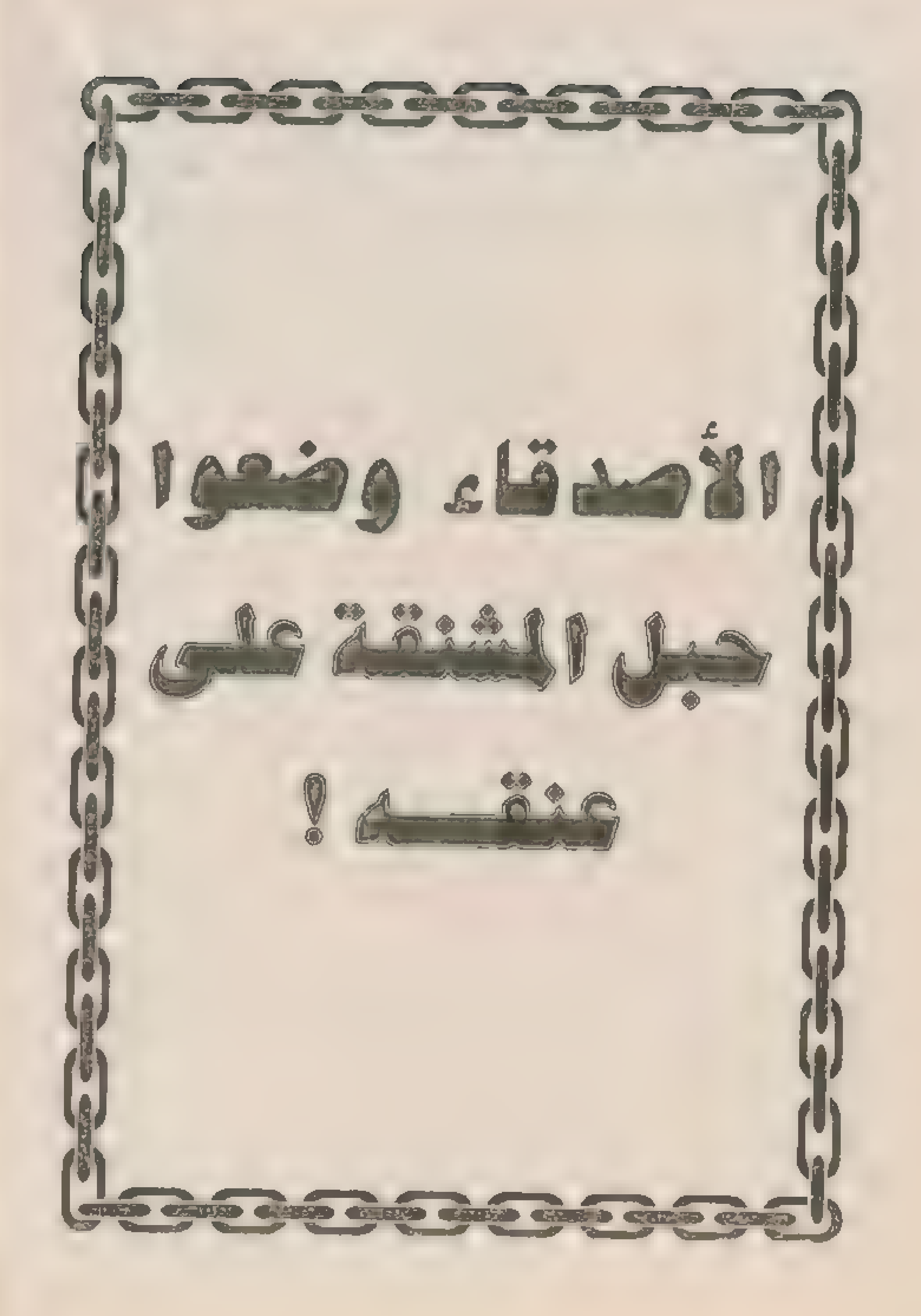
المتهم : يبدو أنه .. دم (سامح) !

★ ★ ★

وهنا أظهر المحقق المفاجأة التى عثر عليها رجال المباحث .. وهو الخاتم الذهبى .

وسأله : هل هذا الخاتم الذى عثر عليه بجوار الجثة يخصك ؟

المتهم : نعم .. ويبدو أنه سقط منى وقت أن كنت أضرب (سامح) .



المحقق : وما سبب تلوث الخاتم بالدماء ؟

المتهم : لا أعرف إن كانت هذه دمائى أم دماء (سامح) ؛ لأن يدى أصيبت بعد أن ضربته بالقطعة الحديدية ووضعته أسفل السيارة .

المحقق : كيف كانت حالتك بعد خروجك من الجراج وارتكابك للجريمة ؟

المتهم : كنت تعبانًا ، لدرجة أن صوتى ضاع .

المحقق : هل شاهدك أحدًا أثناء خروجك من الجراج ؟

المتهم : اثنين من أصحابى وسألنى أحدهم عن إصابة يدى وأعطانى منديلاً ورقيًا لأمسح به دمى .

المحقق : ماذا فعلت بعد ذلك ؟

المتهم : ذهبت إلى منزلى وقمت بتغيير ملابسى ، ثم نزلت وذهبت إلى منزل صديقى (هشام) .. ومن هناك تحدثت تليفونيًا إلى خطيبتى .

المحقق : ألم تستعمل تليفون صديقك مرة أخرى ؟

المتهم : لقد تحدثت إلى خطيبتى .. وبعد ساعة تحدثت إلى ..

المحقق : هل أخبرتها بما حدث ؟

المتهم : لا ..

المحقق : أنت متهم بقتل (سامح) مع سبق الإصرار ؟

المتهم : أنا ماكنتش عارف إنه هايموت .

المحقق : أنت متهم بخطف (سامح) بالإكراه .

المتهم : لم يحدث .

المحقق : هل لديك أقوال أخرى ؟

المتهم : لا ..

* * *

لكن أصدقاء المتهم بشهادتهم كانوا يلفون حبل المشنقة حول عنقه .. سواء هؤلاء الذين شاهدوه بعد الجريمة أو الذين عرفوه قبلها .

قامت النيابة باستدعاء عدد من أصدقاء المتهم (حمادة) .

قال أولهم ويدعى (صلاح) :

- عرفت (حمادة) من خلال صداقته لأخى (هشام) وكان يتردد على محل نمتلكه ، وعلمت أنه توجد خلافات بينه وبين والده ووالدته وأنه لايقيم باستمرار فى منزله ، وطلب منى أن يقيم بمنزلنا يومين ثلاثة بسبب ظروفه .. فلم نتردد لأنه صديق أخى ، وفى ليلة الحادث عدت إلى

المنزل لأجد (حمادة) وأخى يلعبان بأوراق اللعب فاشتركت معهم ، لكنى بعد قليل لاحظت أن يده مصابة وأنه وضع عليها بعض (الأسمنت) وسألته فقال إن يده مصابة وأنه وضع الأسمنت على الجرح حتى لا تنزف دماؤه ، فسخرت منه .

المحقق : وكيف كانت حالته ؟

الشاهد : عادية .

المحقق : وهل استعمل التليفون ؟

الشاهد : نعم ، اتصل أكثر من مرة لكنه لم يحقق أى اتصال .. لكنه فى آخر مرة حقق اتصالاً وتكلم مدة بسيطة لكن لم أعرف لمن كان يتحدث .

وبلغت الإثارة ذروتها .. حين استمعت النيابة إلى شهادة صديق آخر من أصدقاء المتهم (حمادة) ..

فقد قال صديقه : من حوالى ستة أشهر كان (حمادة) معى ومع صاحب آخر اسمه (ماهر) وثالث اسمه (أحمد) .. وتحدث (حمادة) وهو يسألهم : ما رأيكم لو نفذنا عملية بسيطة نكسب منها حقيبة بها مائة ألف جنيه . لأننا كلنا محتاجون للفلوس .. وهناك امرأة عجوز تقيم فى المعادى وممكن نلاقى عندها ذهبًا ونقودًا ؟

وأضاف الشاهد : أنا ضحكت .. لكن هو كان واخد الموضوع جد وكرره علىَّ أكثر من مرة طوال أسبوع حتى قال لى : هذا الموضوع لا بد أن ينفذ غدًا .

فقلت له : أنت دائمًا تتحدث فى هذه الموضوعات .. ولا بد أن تراعى أننى سوف أدخل امتحانًا غدًا ..

فقال لى : إذن عندما تفيق نتحدث فى الموضوع .

قلت له : أنت سوف تضيع نفسك فى مثل هذه الأمور .

فتركنى .. معتقدًا أننى لا أستطيع أن أجاريه فى مثل هذه الأشياء .

* * *

ومضى صديق القاتل يروى تفاصيل ما حدث ليلة الجريمة ..

فقال : يوم الحادث وبينما كنا نشاهد فوازير رمضان ، قال لى : سوف أنزل وإذا اتصلت خطيبتى أخبرها أننى تلقيت مكالمة قبل الإفطار ونزلت .. وفعلاً نزل ، وجلست أشاهد مباراة لكرة القدم كانت تعرض فى التليفزيون ، وعندما عاد كان يرتدى ملابس أخرى ، وأخبرته أن خطيبته اتصلت به .. فأخذ التليفون واتصل بها وسمعته يقول لها : أنا أعصابى تعبانة .. ثم أغلق التليفون .. وبعد قليل .. قال لى : سوف آخذ التليفون وأدخل به فى الحجرة .

قلت له : اتفضل .

فأخذ التليفون وغاب حوالى خمس دقائق ، وعندما انتهت مباراة كرة القدم ، نزلت لأجلس على المقهى وأثناء عودتى وجدته واقفًا ، فطلب منى أن نتمشى قليلاً .. ثم تركته وعندما عدت إلى المنزل وجدته ، ودخل على غير العادة فى الحجرة التى يوجد بها التليفون حيث مكث بها حوالى عشر دقائق ثم خرج ، ولكنه عاد ليدخلها مرة أخرى أو مرتين ، ثم انشغلت فى تحضير السحور وبعدها أخبرنى أنه سينزل وكان النهار قد طلع .. ونزل ، ثم عاد ليسألنى عن حبوب منومة فأخبرته بأنه لا يوجد لدى .. ودخلت لأنام ثم استيقظت فوجدت أحد ضباط المباحث يسأل عن (حمادة) ويفتش عنه فى الشقة ..

سأله المحقق : هل تحدث معك المتهم عن مدى حاجته إلى المال ؟

صديق القاتل : كان دائمًا يفكر فى أن يمتلك فلوسًا كثيرة ، وذات مرة سمعته وهو يحدث خطيبته ، ويقول لها : لو لم أحصل على هذه الفلوس سوف أدخل السجن .. ولو حصلت عليها أيضًا سأدخل السجن .

المحقق : ألم يحدثك فى موضوع الجريمة ؟

صديق القتيل : حدثنى فى موضوع حقيبة بها مائة ألف جنيه ، وقال : إن صاحبها حصل عليها بطرق غير مشروعة ولو أخذناها لن يجرؤ على إبلاغ الشرطة ، كما حدثنى عن عجوز المعادى ، وقال : إنها تظل بمفردها فى البيت بعد أن يغادرها ولداها فى الصباح !

المحقق : عندما عاد ليلة ارتكاب الحادث بماذا تحدث إليك ؟

صديق القاتل : سألنى عن رأيى فى صينية كنافة كان قد قام بإعدادها ..

* * *

بعد أن تناول إفطار رمضان فى ليلة القدر ، غادر الطفل (سامح) منزله بحى الخليفة بالقاهرة ليلعب مع الأطفال فى الشارع بطائرة ورقية .. ولكنه لم يعد إلى منزله بعد هذه الليلة إلا جثة هامدة .

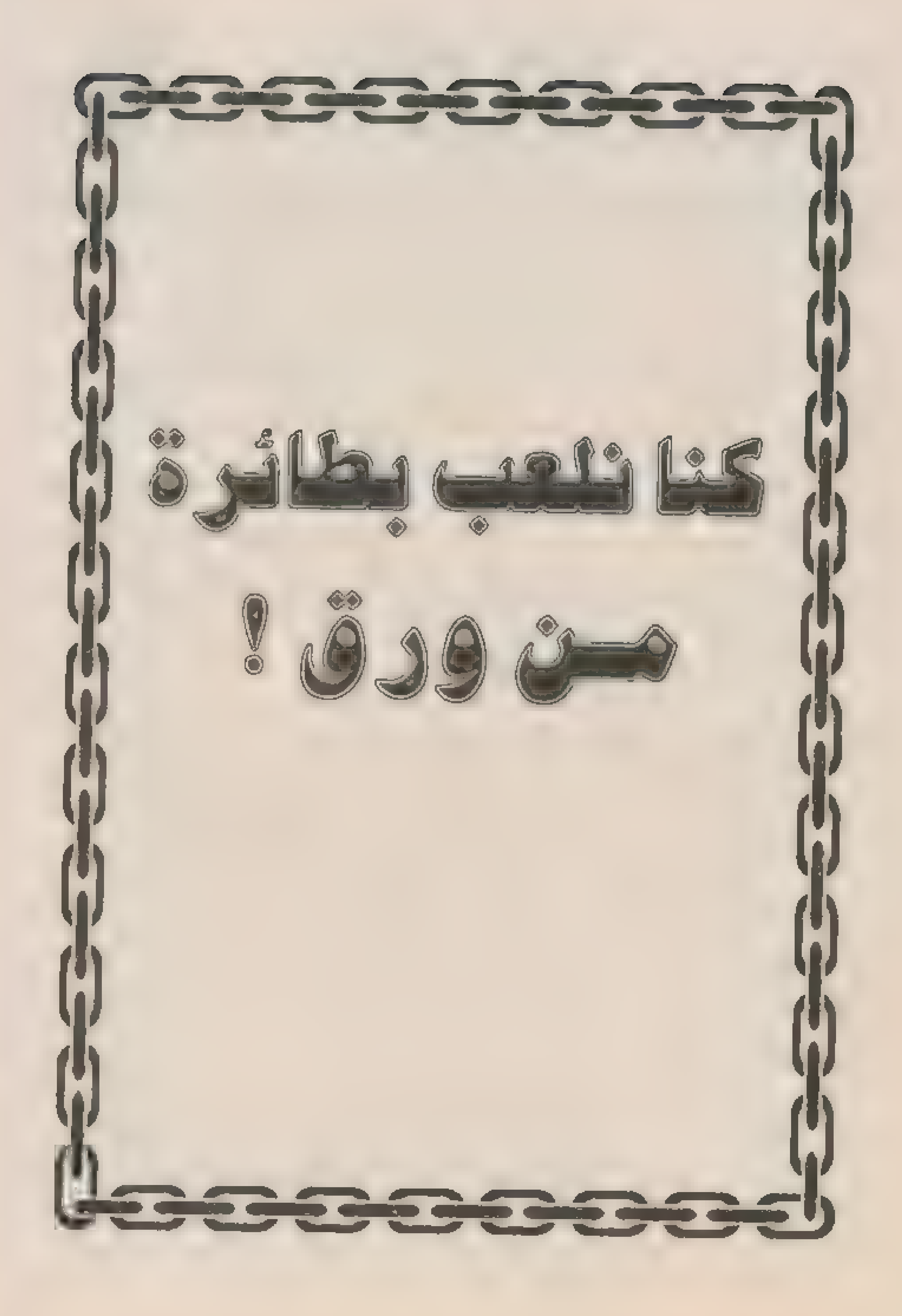
وألقت الشرطة القبض على الطالب القاتل (حمادة) ، جار أسرة الطفل القتيل ، الذى اعترف أنه ضرب (سامح) بقطعة حديدية ؛ لأنه « بصق » على الأرض أمام وجهه .

ولكن الشهود وأولهم أصدقاء المتهم نفسه فضحوا جريمته ووضحوا بدقة تحركاته وأقواله ليلة الحادث ، وكيف أنه كان يفكر منذ شهور فى ارتكاب جريمته من أجل حاجته للنقود .

وفى آخر قائمة الشهود .. جاءت الطفلة (داليا) شقيقة (سامح) الوحيدة كما استدعت النيابة طفلاً صغيراً من أصدقاء المجنى عليه ، وكذلك إحدى جارات أسرة الطفل .. وأخيراً الأم المسكينة التى فقدت طفلها غدراً ..

وبدأ المحقق يستمع إليهم ..

* * *



وقفت الفتاة الصغيرة (داليا) ابنة الخمسة عشر ربيعًا أمام المحقق وهى ترتعش .. كانت دموعها على شقيقها لم تجف بعد .

سألها المحقق : متى شاهدت (سامح) لآخر مرة ؟

قالت (داليا) بحزن : بعد أن تناولنا الإفطار وشاهدنا فزورة رمضان ، أنا صعدت لشقة صديقتى (عزة) فوق شقتنا ونزل (سامح) لشراء « مياه غازية » ، وجلست مع صديقتى حيث شاهدنا التمثيلية ونزلت إلى شقتنا فى حوالى الحادية عشرة مساءً .

المحقق : كيف اكتشفت غياب شقيقك ؟

(داليا) : صديقه (عمرو) وهو شقيق صديقتى (عزة) صعد إلى شقتهم وعندما سألناه عن (سامح) قال : ألم يصعد إليك ؟

المحقق : ماذا فعلت عندئذ ؟

(داليا) : قلت لنفسى : إنه من الجائز أن تكون والدتى أخذته معها لشراء بعض الحاجات .. لكنى عندما عادت سألتها عن (سامح) فقالت إنها اعتقدت أنه موجود معى .. وأعطتنى حقيبتها ، وقالت إنها ستهبط إلى الشارع لتسأل عنه ..

وكانت كل دقيقة تعود لتسألنى : هل عاد ؟ وظللت جالسة مع صديقتى (عزة) حتى الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد منتصف الليل .. ثم دق جرس التليفون أسرعت للرد ، فلم يتحدث أحد .. وبعد قليل دق جرس التليفون مرة أخرى .

هذه المرة أسرعت صديقتها (عزة) ابنة الجيران بالرد على التليفون ..

قال المتحدث : مدام (سميرة) موجودة ؟

سألته (عزة) : إنت مين ؟

قال لها : إنت (عزة) أم (داليا) ؟

وهنا أعطت (عزة) سماعة التليفون لـ (داليا) ..

سألها المتحدث : إنت (داليا) ؟

فسألته بدورها : إنت مين ؟

عاد ليسألها : ماما هنا ؟

وردت (داليا) : ماما غير موجودة .. إنت مين ؟

قال المتحدث المجهول : لما ترجع ماما أبلغيها ألا تبحث عن (سامح) .

وهنا أسرعت (داليا) تحت تأثير المفاجأة بإلقاء سماعة التليفون .. انهارت وأجهشت بالبكاء ..

وعادت (عزة) لتمسك بسماعة التليفون .

فقال لها المتحدث المجهول : (سامح) فى الحفظ والصون عندى .. فلا تبحثوا عنه ..

ثم عاد ليسأل : هل عادت مدام (سهير) ؟

كانت (عزة) ابنة الجيران قد استجمعت بعض شجاعتها ..

فسألت المتحدث المجهول : إن كان (سامح) لديك فعلاً .. أسمعنى صوته ؟

فرد عليها بعنف : اجعلى أم (سامح) تجلس بجوار التليفون .. فسوف أتصل بها مرة أخرى ، ثم أغلق التليفون .

* * *

عاد المحقق ليسأل (داليا) : هل تبينت صوت المتحدث أو المكان الذى كان يتكلم منه ؟

ردت (داليا) : لقد سمعت هذا الصوت قبل ذلك وهو قريب من صوت ابن الجيران (حمادة) المتهم .. أما المكان الذى كان يتحدث منه فقد كانت تصدر عنه ضوضاء تليفزيون أو مقهى ..

سألها المحقق : هل حادثك المتهم قبل ذلك فى التليفون ؟

ردت : لا .. لكنه قد تردد علينا من قبل ..

المحقق : ومتى عادت والدتك !

(داليا) : حضر أحد أقاربنا للسؤال عن (سامح) فطلبت منه أن يعود بأمى بسبب المكالمة التليفونية .. وفعلاً عادت .. وفى المكالمة الثالثة قبل الفجر سمعت صوته ..

المحقق : كيف ؟

(داليا) : من خلال سماعة ثانية .. للتليفون ؟

* * *

وبعد دقائق كان الطفل (عمرو) صديق الطفل (سامح) المجنى عليه والذى كان معه قبل ارتكاب الجريمة يقف أمام المحقق والرهبة واضحة فى عينيه البريئتين .

سأله المحقق برفق : متى وكيف تقابلت مع (سامح) ليلة الحادث ؟

قال الطفل (عمرو) : التقيت به أمام المقهى بعد الإفطار ، وكان يحمل وصفة دواء طلب منى أن أشتريه وأذهب به إلى أمى لتعطيه لامرأة تسكن فوقنا . وكان يحمل فى يده بعض زجاجات المياه الغازية الخالية ، وفعلاً اشتريت الدواء وعدت به وتركت (سامح) مع صديقتنا الصغيرة (هالة) التى كانت فى ذلك اليوم تسير معه فى الشارع .. وعدت لألعب بطائرة ورقية .

قال لى (سامح) : ألا تعرف كيف تجعلها تطير ؟

ثم أمسك الطائرة الورقية وأخذ يدفعها فى الهواء .

ثم قال لى : يا (عمرو) ، سأذهب لإحضار خيط من أجل الطائرة الورقية ..

قلت له : لاتذهب .. والعب بطائرتى الورقية .

رد (سامح) : لا .. إن خيط طائرتك قصير وأنا سأذهب لإحضار بعض الخيط ..

وذهب وبعدها لم أشاهده .

وعندما تأخر فى العودة سألت أصحابى عنه فقالوا إنهم لم يشاهدوه ، فاستغرقت فى اللعب ، وعندما سألتنى أخته (داليا) عنه ، قلت لها : إننى لم أشاهده بعد أن ذهب ليحضر الخيط ..

سأله المحقق : كيف كانت الإضاءة داخل الجراج ؟

رد (عمرو) : كان مظلمًا .. وكنا نخاف منه .. حتى إننا كنا عندما نعبر الطريق أمامه .. كنا نجرى .

سأله المحقق : هل شاهدت المتهم (حمادة) ؟

رد (عمرو) : لم أشاهده فى هذا اليوم ، لكن قبل ذلك كنت أشاهده يقف بجوار الجراج .. وقبلها بيوم كان يقف هناك وكنت أمشى مع (سامح) فنادى عليه ، وعندما عاد (سامح) أخبرنى أنه طلب منه شراء علبة سجائر له وأعطاه ثمنها .. وسألنى (سامح) : أيشترى السجائر أم لا ؟ فقلت له : عادى ، اذهب ولا تخف منه .

المحقق : وهل أخبرك (سامح) بخوفه من المتهم (حمادة) .

الطفل (عمرو) : لا ، لكن (سامح) لم يكن يحب أن يتكلم مع أحد أو يمشى مع أحد غيرى .. وأى حاجة تحدث كنا نخبر بعضنا عنها ..

المحقق : وهل شاهدت المتهم يتحدث إلى (سامح) من قبل ؟

الطفل (عمرو) : لا .. لكن قبل حكاية السجائر بيوم كنا نسير وراء بعضنا .. فوضع (حمادة) يده على رأس (سامح) وتحسسها .. لكنه لم يكلمه .. وفى نفس اليوم كانت والدة (سامح) تسير وكان المتهم يقف بالشارع فألقت عليه بالتحية .

* * *

وبعد ذلك .. وقفت أصغر شاهدة فى هذه الجريمة أمام المحقق .. وهى الطفلة الصغيرة (هالة) التى كانت تلعب مع الطفل (سامح) ليلة الحادث ..

سألها المحقق : كيف تقابلت مع (سامح) ؟

قالت (هالة) : نحن نمت له بصلة قرابة .. وكنت عندهم حيث تناولت معهم طعام الإفطار ، وبعد الإفطار أعددت زجاجات المياه الغازية ، وارتدى (سامح) ملابسه حتى ينزل لتغييرها .. ونزلت معه وفى الطريق قابلنا صديقه (عمرو) يلعب بطائرة ورقية .. وعندما عدنا إلى المنزل ، قال لى فى الطريق : أنت (تطلعى) طابقين وأنا أطلع طابقين .

فقلت له : اطلع لأن والدتك أمرتك بألا تلعب فى الشارع .. فقال لى إنه سيلعب قليلاً مع (عمرو) .. وبعد فترة حضر وصاح على والدته من أجل إحضار خيط للطائرة الورقية ، فردت عليه والدة (عمرو) ، وسمعت والدته تطلب منها ألا تعطيه الخيط وخرجت لتنادى عليه فأخبرها أنه سيلعب قليلاً .

المحقق : لكن المتهم قرر أنه أثناء سيرك مع (سامح) قام بالنظر إليه ثم البصق على الأرض وكرر نفس التصرف .

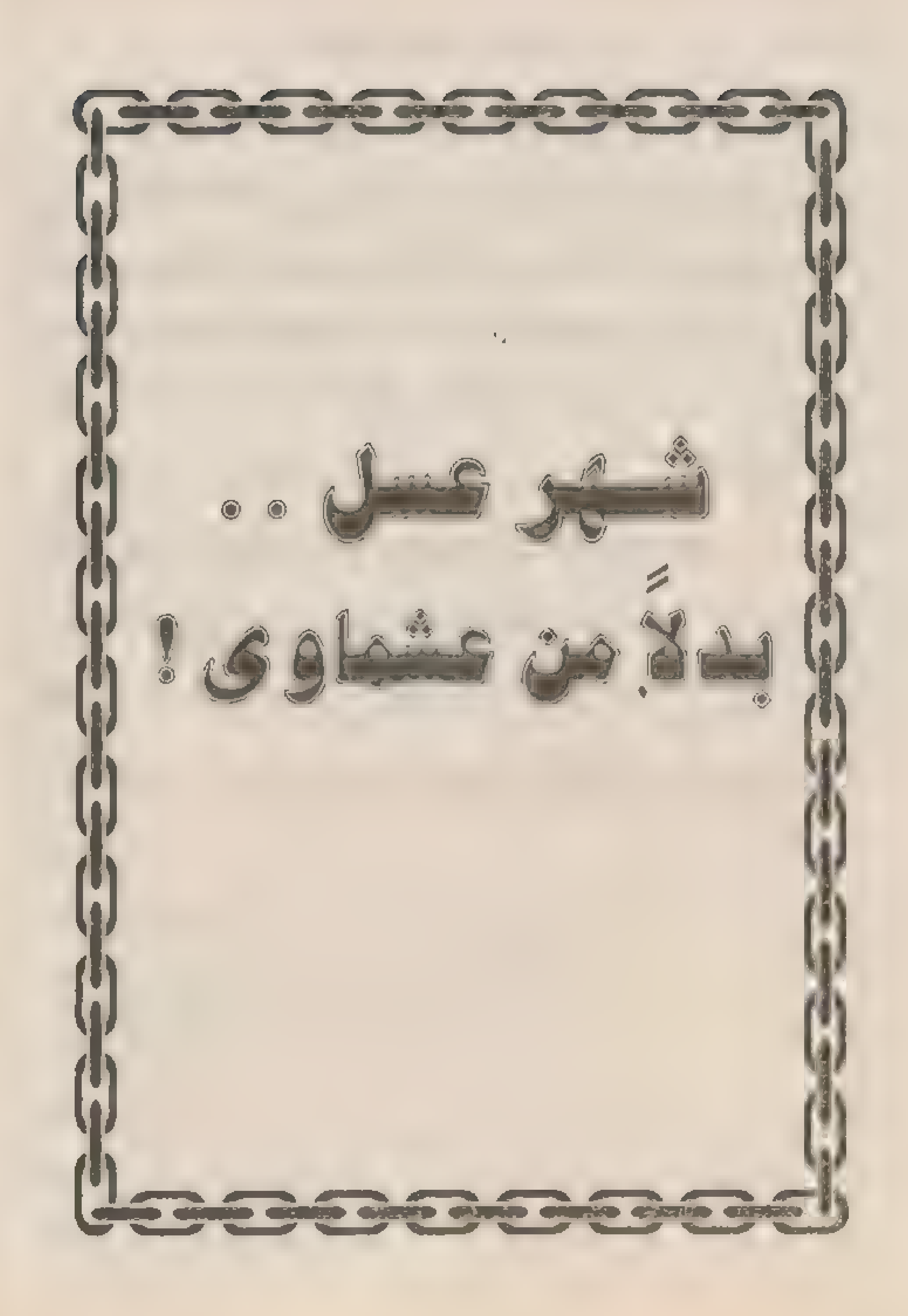
الطفلة (هالة) : لم يحدث أبدًا .. لقد كنت أسير معه طوال الطريق .. وهو لم ينظر إلى أحد .. ولم يبصق على الأرض !

هكذا أكدت شهادة الطفلة كذب رواية المتهم حول دافعه لارتكاب الجريمة .

وبقى أن تتكلم والدة الطفل (سامح) .

الأم التى فقدت « ضناها » الوحيد ..

* * *



فى نهاية تحقيقات النيابة فى جريمة خطف وقتل الطفل (سامح) .. كان على المحقق أن يستمع لشهادة والدة الطفل الضحية .. ولم تستغرق شهادة الأم البائسة طويلاً ..

قال لها المحقق : لقد اعترف المتهم (حمادة) بقتل طفلك (سامح) فى وقت معاصر لاختفائه ..

قالت الأم : نعم .. هو الذى قتل ابنى ؛ لأن الصوت الذى تحدث فى التليفون كان يشبه صوته .. ولقد دبر هذه الجريمة منذ فترة .

المحقق : قال المتهم إن طفلك (سامح) بصق على الأرض ونظر إليه باحتقار مما أثار حفيظته ..

الأم : مش معقول طفل صغير عمره ١١ سنة يفعل ذلك ؛ إن طفلى مؤدب جداً ولا يستطيع أن يتكلم مع أى شخص ، وهذا بشهادة الشهود .

المحقق : لقد عاد المتهم وأنكر واعترف به .

الأم : لقد قتل ابنى ودبر لذلك بدليل أنه اتصل بالتليفون وحدد آخر سيارة فى الجراج مكاناً لوضع الفلوس « الفدية »

عاد المحقق ليسألها : ما هى مواعيد المكالمات التى وصلتك ؟

الأم : التليفون الأول حوالى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، والآخران فى الثانية تقريبًا وقبل الفجر ..

المحقق : كيف تبينت صوت المتحدث ؟

الأم : لقد اشتبهت فى أنه (حمادة) .. وقال لى قلبى : إنه (حمادة) ، واتضح أنه (حمادة)

المحقق : هل سبق له أن حدثك من قبل ؟

الأم : لا .. لكنه كان يحضر إلى منزلنا ويجلس ويأكل وقت أن كانت أخته مخطوبة لابن أخى .

المحقق : لقد أنكر المتهم المحادثات التليفونية ؟

الأم : أكيد هو الذى اتصل .. وهل أنا لا أستطيع تمييز صوته ؟!

المحقق : ما تعليقك على ما أقدم عليه المتهم ؟

الأم : هو طالب فاشل ونصاب ، وقبل ذلك ارتكب أكثر من حادث نصب ، وذات مرة استولى على سيارة شخص ورهنها ..

المحقق : وما هى طبيعة الخلافات بينك وبين أسرة المتهم ؟

الأم : الخلافات بين ابن أخى وأسرة المتهم انتهت ولم أكن طرفًا فيها وكانت علاقتنا عادية ، وقبل رمضان شاهدته يقف على نهاية الشارع ، وكنت قد علمت أنه خطب فهنأته وتمنيت له الخير .

المحقق : هل لديك أقوال أخرى ؟

الأم : مستحيل أن يكون قد ارتكب الجريمة لأن ولدى كلمه أو بصق عليه ؛ لأن ابنى مستحيل أن يفعل ذلك ولو فعل لكان كلمنى لكنه دبر لهذا الموضوع ، وأنا سمعت من صاحب ابنى أنه قبل الحكاية دى بيوم نادى عليه والولد استجاب له واشترى له سجاير .

* * *

وانتهت تحقيقات النيابة ، ورغم أن المتهم (حمادة) عاد لينكر كل اعترافاته .. إلا أن النيابة العامة قررت حبسه على ذمة التحقيق ، وأمرت بإحالته إلى محكمة الجنايات .

وقالت النيابة العامة فى قرار الإحالة : إن المتهم قتل الطفل (سامح) عمدًا مع سبق الإصرار ؛ بأن بيّت النية وعقد العزم على قتله ، وأعد لذلك الغرض أداة ذات حافة حادة ، وما إن أبصره أمام مسكنه بالطريق حتى جذبه إلى داخل جراج ، وانهال عليه طعنًا بتلك الأداة ، فأحدث به الإصابات الموصوفة ، والتى أودت بحياته .. وقد تقدمت هذه الجناية جناية أخرى هى : إنه فى ذات المكان والزمان خطف المجنى عليه الطفل (سامح) بالإكراه والذى لم يبلغ سنه ست عشرة سنة كاملة ، بأن جذبه عنوة من أمام مسكنه وأدخله إلى مكان خارج (جراج) بعيد عن أعين أهله .. الأمر الذى يعاقب عليه قانون العقوبات .

هكذا أحالت النيابة المتهم (حمادة) إلى محكمة الجنايات .. لكن ذلك لم يكن الفصل الأخير فى هذه الجريمة .. فقد وقعت أحداث أكثر إثارة .

* * *

المفاجأة الأولى المثيرة : إطلاق سراح القاتل ..

ذلك أنه حين تم عرضه على قاضى المعارضات ، كانت النيابة قد حبسته أربعة أيام ثم تجدد حبسه ٤٥ يومًا آخر .. أمرت غرفة المشورة بمحكمة جنوب القاهرة بالإفراج عن المتهم (حمادة) .. وذلك لتأخر وصول تقرير الطب الشرعى .

وهكذا خرج القاتل .. ليعود إلى منزله .. ليسير بحرية أمام عيون الأم والأب المكلومين .. ولم يتحمل الاثنان ذلك ..

قرر والد (سامح) أن يعود إلى أبى ظبى مع زوجته وطفلته .. لم يطق أن يشاهد قاتل طفله مطلق السراح ينعم بالحرية .. وكأنه لم يرتكب أى جريمة ..

* * *

وفى مكالمة تليفونية معه فى منزله بأبى ظبى .. قال لى والد (سامح) : صرخنا ، وصرخ كل من سمع بهذا القرار .. وتوجهنا بقلوبنا التى يعتصرها الألم إلى الله (سبحانه) ، الحاكم العادل وفوضنا أمرنا لله الحق ثم إلى جميع المسئولين بالدولة .. وتقدمنا بالعديد من الشكاوى .. لم نطلب أى استثناء .. إنما طلبنا العمل على وضع الحق فى نصابه ودفع عجلة القضية ، وتحديد جلسة عاجلة لمحاكمة المجرم القاتل ، الذى مازال يمرح خارج السجن بلا محاكمة .. حرًا طليقًا مزهوا بحريته وأنه لم يمسه عقاب إلى أن تموت القضية .

وقالت أم الطفل (سامح) : نحن نؤمن بالله (سبحانه وتعالى) .. ونوقن بعدالته .. ونثق بنزاهة رجال الهيئة القضائية فى مصر .. ومازال

الأمل يراودنا فى أن الحق لا بد أن ينتصر مهما حاول الظالمون .. وإن القصاص العادل قريب بإذن الله .. ويقول الحق فى كتابه الكريم { إن ربك لبالمرصاد } ، ويقول { سنستدرجهم من حيث لا يعلمون } .

* * *

وتستمع السماء إلى آهات الأم والأب ..

ويحدد موعد لنظر القضية أمام محكمة الجنايات .. وفى الموعد المحدد .. لا يحضر المتهم (حمادة) .. ويقدم محاميه شهادة طبية تفيد أنه مريض .

وفى نهاية نظر القضية ، تعلن المحكمة حكمها : إحالة أوراق المتهم (حمادة) إلى مفتى الديار المصرية .

وتحدد جلسة للنطق بالحكم ..

ولكن تحدث المفاجأة الأكثر إثارة .. وغرابة ، فور إحالة أوراق (حمادة) إلى فضيلة مفتى الديار المصرية ينشط رجال المباحث للقبض عليه .. وينطلقون إلى منزل أسرته ، وتكون المفاجأة أنه اختفى منذ فترة من المنزل .

ويبدأ رجال المباحث فى جمع التحريات حول المتهم الهارب من الإعدام .. ليكتشفوا مفاجأة أخرى ساخرة : إن المتهم الهارب من حكم الإعدام .. يقضى الآن فى مكان مجهول .. شهر العسل .

* * *

قالت تحريات رجال المباحث : إن (حمادة) بعد أن أفرجت عنه غرفة المشورة عاد ليمارس حياته بطريقة عادية .. وبعد فترة تعرف على فتاة من إحدى الأسر ووقع فى غرامها ، وتقدم إلى أسرتها يطلب يدها ، دون أن تعلم أسرة العروس أن العريس متهم فى قضية خطف وقتل ، وأنه يواجه حكمًا بإعدامه ..

ووافقت الأسرة لأن العروس كانت قد أحبت العريس .

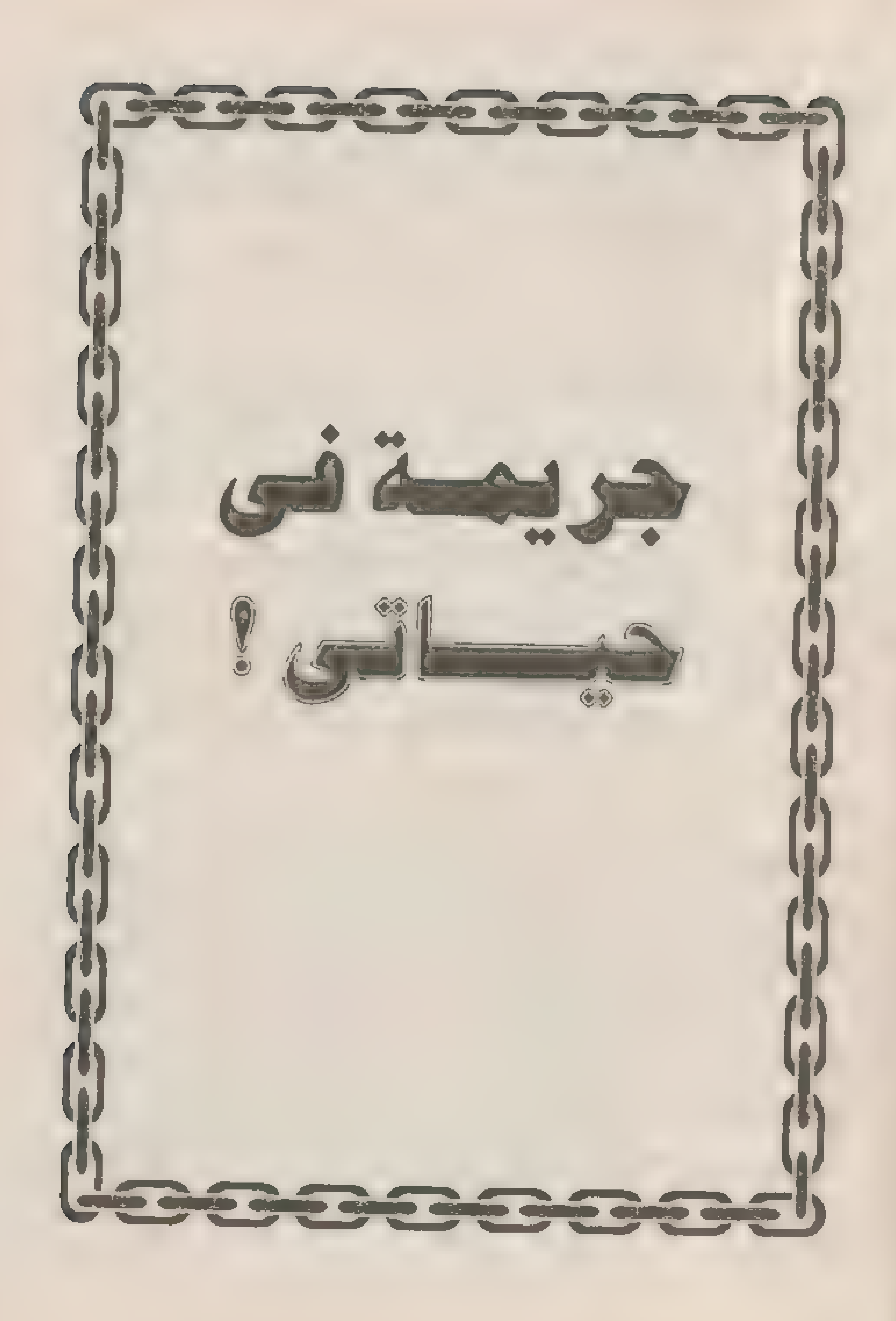
هكذا أقيم لهما فرح كبير فى أحد النوادى بمصر الجديدة ، وارتفعت الزينات والزغاريد وأغانى الأفراح .. وجلس القاتل فى (الكوشة) !

لكن قبل موعد المحاكمة ، اختفى العريس وعروسته ، وجاهد رجال المباحث بعنف من أجل الوصول إليه .. اكتشفوا أنه اتصل بشقيقته من مدينة الإسكندرية بعد أن سمع الحكم بإحالة أوراقه إلى المفتى ، وترك لها رقم تليفون شقة يقيم بها ..

وعلى الفور انطلق رجال المباحث إلى الإسكندرية وهم يأملون فى القبض عليه ، لكنهم شعروا بالدهشة والإحباط .. عندما داهموا الشقة ووجدوا أن العريس الهارب من الإعدام قد اختفى منها مع عروسته .

لكن لم تمض سوى فترة قليلة حتى تم القبض على القاتل الهارب ، لينفذ حكم العدالة ..

* * *



إذا فكرت أن تقتل شخصًا ما .. وعزمت على فكرتك .. ووضعت لها التفاصيل .. كيفية ارتكاب الجريمة .. الموعد .. المكان .. وسيلة القتل .. كل شيء .. لكن ! حدث أمر مفاجئ لادخل لإرادتك به .. كأن تذهب فلا تجد القتيل .. أو يحدث لسيارتك حادث تصادم وأنت فى الطريق له .. أى مانع قدرى يحدث فجأة ويمنعك من إتمام الجريمة ..

فى هذه الحالة : هل تعتبر قاتلاً ؟ هل يعاقبك قانون الأرض .. أم تفلت لتلقى عقابك .. بقانون السماء ؟

فى هذه القضية الغريبة .. قاتلان ..

الأول : لايعاقبه قانون العقوبات ، والثانى : نفذ .

الأول : لايعاقبه قانون العقوبات ؛ لأنه «راحت عليه نومة» .

والثانى : تنتظره مشنقة الإعدام !

* * *

كأنهما توءم ولدا معا .. كان (على) و(عليوة) رغم أنهما لم يكونا شقيقين وإنما كان على ابن خالة (عليوة) .. تعدى كل منهما العشرين بقليل .. ولم يكن هذا هو العامل الوحيد المشترك بينهما غير صلة القرابة وتقارب العمر .. بل إن كلاً منهما تعثر فى دراسته .. وكلاً منهما لم يكن يميل إلى العلم أو فى الحقيقة إلى بذل أى مجهود حقيقى فبعد أن فشلا فى إتمام دراستهما .. أخذ كل منهما ينتقل من عمل إلى آخر إلى ثالث .. دون استقرار أو نجاح حقيقى .. وانتهى الأمر بأن أصبح الاثنان .. فى الشارع .

كانت متعتهما الوحيدة هى التسكع فى الشوارع والجلوس لساعات طويلة على المقاهى ومشاهدة المارة والثرثرة الفارغة حول أية موضوعات تافهة .

* * *

كانت والدة (على) قد توفيت منذ فترة وتركته ليعيش بمفرده فى المنزل .. وفى البداية كان ينفق من معاش والده المتوفى الذى انتقل إليه بوفاة والده ، لكنه عندما فشل فى الدراسة انقطع عنه المعاش حسب نصوص القانون وهكذا وجد نفسه فى مأزق حرج .. خاصة بعد أن فشل فى الحصول على عمل دائم يتيح له أن ينفق على متطلبات حياته .. ولم يكن أحد من أفراد عائلة أمه أو والده يساعده ؛ فقد كانوا يرونه شابًا عاطلاً فاسدًا لايستحق المساعدة بقدر ما يحتاج إلى النصيحة والزجر والتأنيب .

ولم يكن حال ابن خالته (عليوة) يفرق عنه كثيرًا .. فرغم أن والديه كانا لايزالان على قيد الحياة .. إلا أنهما طرداه إلى الشارع بعد أن فشل فى دراسته ولم ينجح فى أى عمل عثرا عليه من أجله .

ولم يكن أمام (عليوة) من ملجأ سوى ابن خالته (على) فذهب ليقيم فى شقته .. لتبدأ فصول الجريمة الغريبة .

* * *

لم يكن أحد من أفراد العائلة يشفق على (على) و(عليوة) سوى جدتهما لأمهما .. كانت الجدة العجوز التى تعيش بمفردها فى شقة متواضعة بحى المنيل تحنو على حفيديها وتشفق عليهما وتقدم لهما كل مساعدة ممكنة .

وكما يقول المثل الشعبى : أعز الولد ولد الولد .. فإن الجدة العجوز كانت تولى كل اهتمامها ورعايتها لابنى ابنتيها الشابين .. كانا إذا ماتبخرت نقودهما ذهبا إليها فتعطيهما بعضًا من معاشها .. كانا إذا شعرا بالجوع لجأا إليها فتقدم لهما الطعام بيديها .. كان حنان الجدة العجوز منقطع النظير .. لكن اليد التى امتدت بالعطف قطعها الجحود ونكران الجميل .

* * *

ضاقت كل السبل فى وجه (على) و(عليوة) وتلاشت كل ما معهما من نقود وسدت أبواب العمل والرزق فى وجهيهما لكسلهما وحب كل منهما للراحة والبعد عن الرغبة فى التعب .

ورقد الاثنان فى شقة (على) كل منهما على فراش يحدق فى سقف الحجرة ويتذكر همومه وضيق حاله .

قال (على) : لابد لنا من الحصول على مبلغ كبير .. يكفينا فترة طويلة .

فرد (عليوة) : ولكن من أين لنا هذا المبلغ ؟

قال (على) : من أى مكان المهم أن نحصل على النقود .

سأله (عليوة) : وبأى وسيلة ؟

رد (على) فى ضيق : لاتهم الوسيلة .. المهم أن نحصل على المال وإلا ساء مصيرنا .

وساد صمت بين الاثنين .

لكنه لم يكن صمتًا تامًا .. ففى هذه اللحظة الغريبة كان الشيطان قد انتهز الفرصة وبدأ يحدث كل منهما فى أذنه .

قال الشيطان لـ (على) : وسيلة واحدة أمامك للحصول على مال سهل .

همس (على) لنفسه : ما هى ؟

قال الشيطان : جدتك العجوز الآن لديها كمية من المصوغات يكفيك ثمنها لسنوات طويلة .

همس (على) لنفسه : وهل تعطينى جدتى مصوغاتها بسهولة ؟

قال له الشيطان : اقتلها وخذ مجوهراتها .

اتسعت عينا (على) من هول الفكرة الشيطانية .

وعاد يهمس لنفسه : أقتل جدتى ؟

قال له الشيطان : إنها عجوز وستموت خلال شهور .. بل إنك سوف تريحها من المرض والشيخوخة .

وهكذا ظل الشيطان يبث الفكرة فى أذنى (على) حتى جعله يقتنع بها تمامًا بعد أن نسى أنها جدته وأنها كانت الإنسانة الوحيدة التى تحنو عليه وترعاه .

ولم ينم .. إلا بعد أن اختمرت الفكرة فى ذهنه .. سوف يقتل جدته ويسرق مصاغها .

وقبل أن ينام نظر إلى (عليوة) الذى كان قد استغرق فى النوم .. وقرر ألا يخبره بنواياه أو فكرة الجريمة .. لينفرد لنفسه بالمصوغات .

تصور أنه سيكون القاتل والسارق الوحيد .. لكنه كان مخطئاً أشد الخطأ فى تصوره .

* * *

عندما عثر سكان العمارة بعد أيام على جثة الجدة العجوز فى شقتها ، بعد أن امتنعت عن الظهور لعدة أيام حتى ارتاب الجيران ، وفتحوا الشقة ليجدوها جثة هامدة .

وظل رجال المباحث يجرون تحرياتهم للوصول إلى القاتل المجهول الذى قتل الجدة العجوز وسرق مصوغاتها وكانت المفاجأة أنهم اكتشفوا أنها لم يتردد عليها أحد فى الأيام التى مضت قبل الحادث سوى حفيديها (على) و(عليوة) .. وانحصرت شبهات رجال المباحث فى الاثنين لظروفهما وتعطلهما عن العمل .

وعندما ذهب ضابط المباحث إلى شقتهما ليواجههما ، وبمجرد أن فتح له (عليوة) الباب .. حتى قال منهارًا : سأعترف .. أنا الذى قتلت جدتى !

لكن المفاجأة أن (على) قال : بل أنا الذى قتلتها !

قال (عليوة) وهو يعترف : إن الشيطان هاجمه ذات ليلة وأقنعه بأن يقتل جدته ليستولى على مصوغاتها .. فأخفى الفكرة عن (على) وظل يدرسها حتى استوعب تفاصيلها .. لكنه عندما ذهب ليقتل جدته وجد لديها إحدى جاراتها فمكث عدة دقائق ثم انصرف .

سكت (عليوة) والحيرة على وجهه ..

ثم أضاف : الغريب يا حضرة الضابط أننى لا أذكر ما حدث بعد ذلك لكن جدتى قتلت .. فلابد أننى ذهبت إليها مرة أخرى وقتلتها . ولا بد أن هذا سبب لى صدمة فلم أعد أذكر كيف حدث ذلك .

كان اعترافه كاملاً .

لكن اعتراف (على) كان مفاجأة بحق ..

* * *

قال (على) : بل أنا القاتل .. فقد أقنعنى الشيطان بنفس الفكرة فى نفس الليلة وأخفيت الفكرة عن (عليوة) وبعد أيام كمنت أمام منزل جدتى شاهدت (عليوة) يدخل .. فانتظرت حتى خرج ثم خرجت بعده إحدى جارات جدتى .. وهنا طرقت بابها .. فتحت لى .. رحبت بى .. وذهبت لتعد لى الشاى .. لكن شيطانى جعلنى أطبق بيدى على عنقها ولم أتركها إلا جثة هامدة .

صرخ (عليوة) : بل أنت تقول ذلك .. حتى لا يتم القبض على .. فأنا القاتل ..

رد (على) : بل أنا القاتل .. معى دليل إدانتى .

سأله الضابط : وما هو ؟

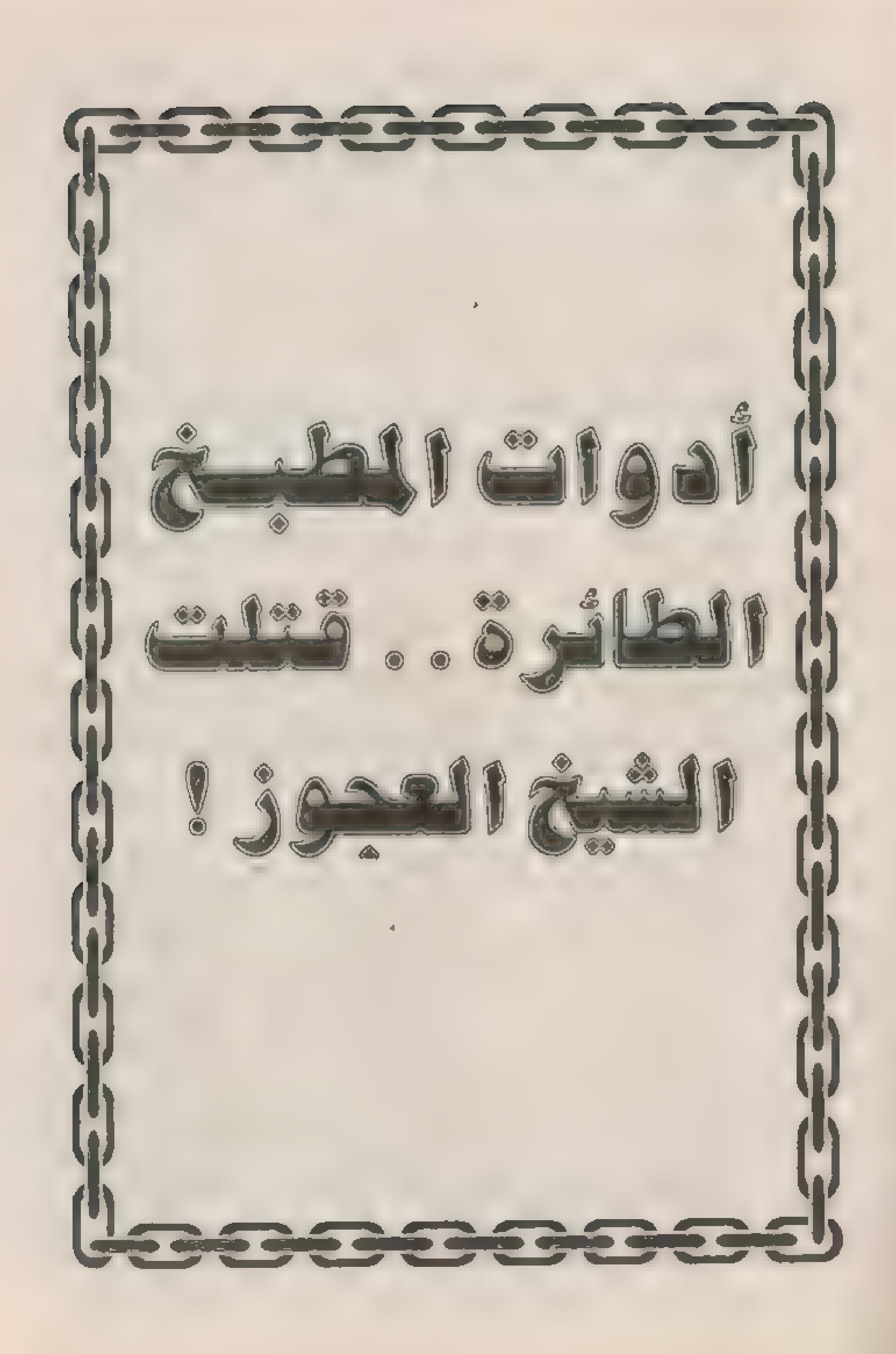
أسرع (على) إلى دولاب ملابسه ليخرج لفافة قدمها إلى الضابط ..

وقال : هذه هى مصوغات جدتى المسكينة .. لقد قتلتها وسرقتها واستحققت لعنة الله ... ومشنقة الإعدام .

* * *

وهكذا أحيل القاتل الفعلى (على) إلى محكمة الجنايات .. أما القاتل فى خياله (عليوة) فما زال حرًا يعاقب نفسه فى اليوم ألف مرة .. لأنه قتل .. فى الخيال !

* * *



كانت جدتى دائمًا تسخر من خوفنا كأطفال من الظلام الذى كنا نخشى أن يظهر لنا فيه عفريت مخيف ، وتقول :

ـ ما عفريت إلا بنى آدم !

ولا أعرف لماذا تذكرت جدتى وأنا أحاول تغطية حادث غريب وقع فى حى الزمالك الأرستقراطى ، وراح ضحيته أحد رجال الدين الذى مات مقتولاً ، وكان المتهم بقتله : عفريت !

★ ★ ★

بدأت القصة فى ساعة مبكرة من صباح أحد أيام صيف القاهرة الحار ، عندما دلفت سيارة إسعاف بسرعة إلى مستشفى بولاق الدكرور ، وهى تحمل مصابًا تجاوز الخمسين من عمره ، كانت الدماء تنزف بغزارة من كل مكان فى جسده .

وأسرع الأطباء يحاولون فى دهشة إنقاذ الرجل ، الذى كانت حالته سيئة للغاية وكان من الواضح أنه يحتضر ، وحاولوا قدر إمكانهم وقف نزيف الدماء من جروحه المتعددة .

وفى العادة فإن المستشفيات عندما تستقبل مصابين فى مثل هذه الحالة ، فإنها تقوم بإبلاغ الشرطة التى تتولى فى الحال التحقيق فى أسباب الحادث وتبدأ البحث عن المتهم لإلقاء القبض عليه ، حتى تأخذ العدالة مجراها .

وهكذا بعد أن بذل الأطباء جهدهم فى محاولة إسعاف الرجل المصاب ، نقلوه من غرفة العمليات إلى الفراش ، واتصلوا بقسم شرطة قصر النيل الذى أوفد ضابطًا لسؤال المصاب ومحاولة التعرف على المتهم .

ومن حظى أن هذا الضابط كان صديقًا لى ، وقبل أن يتحرك من قسم الشرطة اتصل بى ، واتفقنا على أن نلتقى فى المستشفى ، حتى أشاهد بنفسى عملية استجواب المصاب ، وأبدأ تحقيق القصة من بدايتها .

★ ★ ★

وعندما دخلت مع الضابط إلى حجرة الرجل المصاب وجدنا بعض الأطباء على باب الحجرة يتبادلون النظرات ، وقال أحدهم للضابط :

هذا الرجل سوف يموت فى أية لحظة .

فأسرع الضابط وأنا من خلفه إلى داخل الغرفة ، حيث كان الرجل يروح فى غيبوبة قصيرة ، ثم يفيق لدقائق يتأوه بشدة خلالها ويعود مرة أخرى إلى غيبوبته .. وهكذا .

سأله الضابط : ما اسمك ؟

قال الرجل بصوت هامس : سيد .

سأله الضابط : وما صنعتك ؟

رد الرجل : شيخ .. أنا إمام مسجد ..

عاد الضابط ليسأله : طيب يا شيخ سيد من الذى أحدث بك هذه الإصابات ؟

فجأة انتفض جسد الشيخ سيد وكأن ثعبانًا قد عقره ، وهاج فى هيستريا : يا مغيث .. يا لطيف .. وأخذ يردد هذه الكلمات وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما من شدة الانفعال ، ثم عاد ليصرخ فى ألم غريب : قتلتنى يا ملعون ، قتلتنى .

سأله الضابط بدهشة : من هذا الذى قتلك ؟

سكن جسد الشيخ سيد فجأة كما انتفض من قبل ثم زفر بصوت ضعيف : شمهورش !

وأغمض عينيه إلى الأبد .

* * *

هل هذا معقول ؟

هل يمكن لـ (شمهورش) أن يكون قاتلاً ؟ ومن هو (شمهورش) إنسان أم جنى ؟

لم يكن أمام الضابط المسكين سوى أن يحرر محضرًا بأقوال الرجل الذى توفى متأثرًا بإصابته ، ولغرابة القصة فإن رجال المباحث قد بدءوا

تحرياتهم فى الحال لكشف غموض الحادث .. كان ضابط مباحث قسم شرطة قصر النيل فى ذلك الوقت شابًا متحمسًا متوقد الذكاء واستطاع فى فترة سنوات قليلة أن يبرهن على كفاءته بكشف الغموض عن كثير من الحوادث المهمة ، وقد أصبح فيما بعد من كبار قيادات الشرطة فى مصر ، المهم أن الضابط الشاب لم يهدأ إلا بعد أن استطاع خلال ساعات قليلة أن يلقى بعض الضوء على ملابسات الحادث الغريب .

وكشفت التحريات أن الشيخ (سيد) كان يعمل إمام مسجد فى منطقة إمبابة ، وحدث أن قام رجل أعمال مليونير ببناء عمارة جديدة فى أحد شوارع الزمالك ، وبنى أسفل العمارة مسجدًا صغيرًا ، وبحث عن إمام يؤم الصلاة فى المسجد فقاده الناس إلى الشيخ (سيد) ، وكان الشيخ (سيد) يحضر فى الصباح من بيته بإمبابة إلى مسجد العمارة فى الزمالك ، ويظل به حتى انتهاء صلاة العشاء . فيغلقه ثم يعود إلى بيته سيرًا على الأقدام ، فلا شىء يفصل بين الزمالك وإمبابة سوى نهر النيل ، وبعد أيام من عمله فى المسجد بدأ سكان الزمالك يكتشفون « كرامات » أخرى للشيخ (سيد) !

* * *

عثر رجال المباحث فى بيت الشيخ (سيد) على مئات من كتب السحر والشعوذة ، وكشفت تحرياتهم أنه بعد عمله فى مسجد العمارة بالزمالك كان يؤدى بعض الخدمات فى مجال السحر وتحضير الأرواح

لبعض سكان الزمالك ، وقد ذاع صيته فى فترة بسيطة فأصبح مقصدًا لكل من يعتقد فى السحر حلاً لمشكلاتهم المستعصية .

وأصبح للشيخ (سيد) مريدون ومعجبون .. ومن بين هؤلاء كان المليونير صاحب العمارة الذى كان قد خصص شقة فيها لابنه الطالب الجامعى الذى كان يدرس فى الإسكندرية طوال الأسبوع ، ويعود لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى القاهرة .

وعرض الرجل على الشيخ (سيد) أن يبيت فى هذه الشقة إذا تأخر وشعر بأنه لا يريد العودة فى المساء إلى بيته بإمبابة .

واكتشف رجال المباحث أن الشخص الذى أبلغ سيارة الإسعاف التى حضرت لنقل الشيخ (سيد) إلى المستشفى هو الطالب الجامعى ابن المليونير .

وعندما سألوه : وكيف عرفت أنه أصيب ؟

قال ببساطة : لقد كنا معا فى الشقة فى تلك الليلة !

* * *

وأمام ضابط المباحث جلس الطالب الجامعى يروى الحكاية الأغرب من الخيال ، فقال : كانت ليلة عادية للغاية ، تناولت طعام العشاء مع الشيخ (سيد) ثم أويت للنوم فى حجرتى حيث إننى كنت متعبًا من

السفر ، وقبل الفجر بقليل استيقظت من نومى على أصوات ضجة اكتشفت أنها صادرة من المطبخ ؛ فذهبت لأستطلع الأمر وهناك شاهدت أعجب ما رأيته فى حياتى .

سأله الضابط بلهفة : ماذا شاهدت ؟

قال الطالب الجامعى : وجدت كل أدوات المطبخ تطير من مكانها فى الهواء وتضرب الشيخ (سيد) الذى كان واقفًا يتلوى فى وسط المطبخ من شدة الضربات .. الأوانى والملاعق والشوك وحتى المكتبة ، كلها كانت تطير فى الهواء ، ثم تضرب الشيخ (سيد) فى كل أنحاء جسده ، والدماء تنزف منه وهو يصرخ « شمهورش يا ملعون » ثم صرخ صرخة عظيمة وهوى إلى الأرض ! وسكن كل شىء فى المطبخ ، ولم تعد الأدوات تتحرك وكأنها نفذت الانتقام المطلوب !

* * *

كانت رواية بالفعل أغرب من الخيال .. لكن ضابط المباحث كان مضطرًا لتسجيلها فى أوراق القضية الرسمية التى أحالها فى النهاية إلى النيابة ، بعد أن عجز عن العثور على دليل جنائى باتهام أى إنسان يقتل الشيخ (سيد) ، خاصة وأن الأخير قد اعترف بنفسه فى المستشفى قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد حدث ذلك أمامى بأن « شمهورش » هو قاتله !

وأتذكر الآن كيف كانت حيرة صديقى وكيل النيابة (إبراهيم عبد ربه) ، والذى أصبح الآن من كبار رجال القضاء ، عندما وجد نفسه مكلفًا بالتحقيق فى جناية قتل المتهم فيها عفريت مجهول اسمه « شمهورش » !

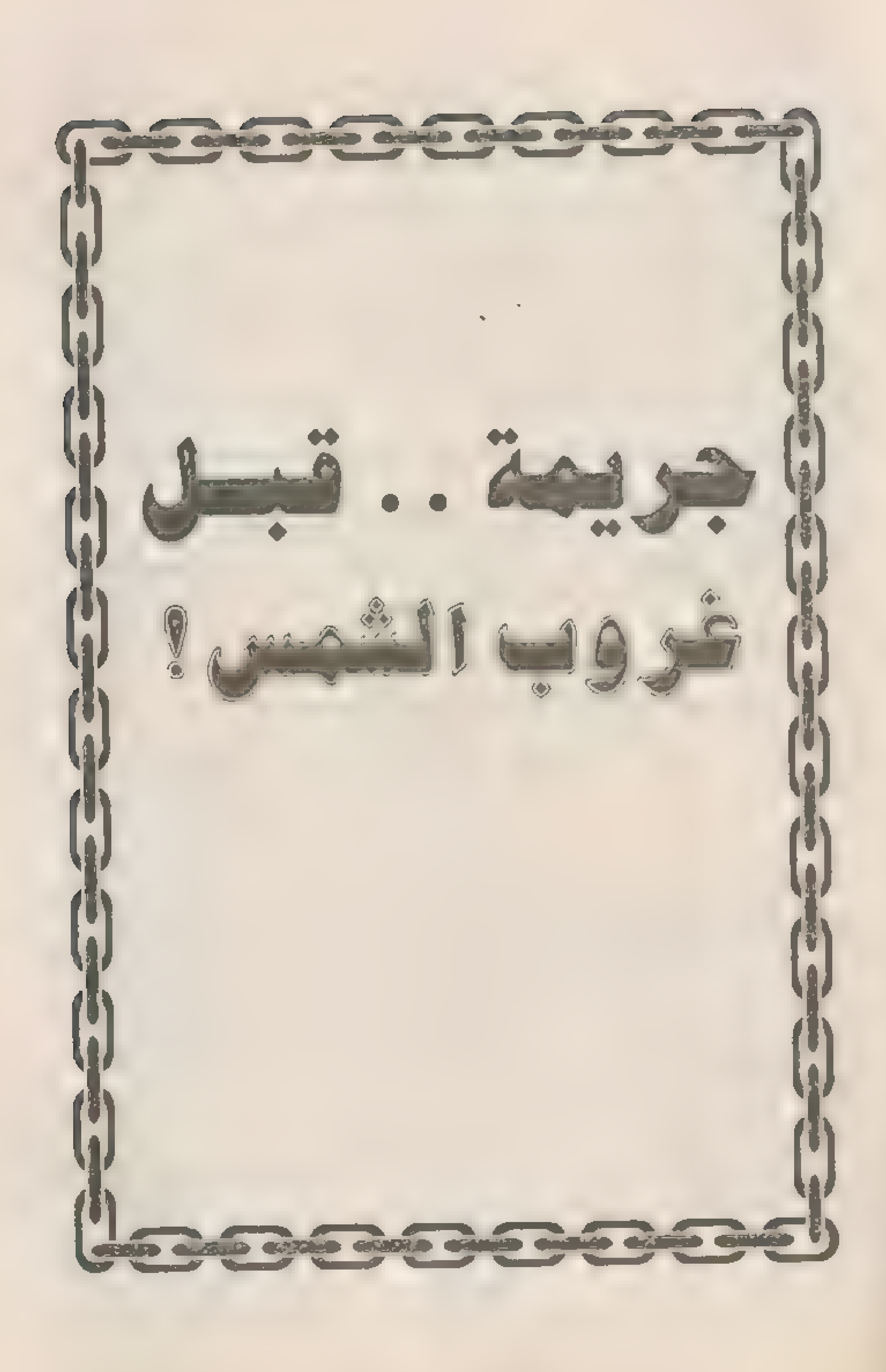
لكن وكيل النيابة فى النهاية لم يجد سوى العبارة التقليدية التى تذيل مثل هذه القضايا الغامضة ، والتى تقول : تقيد القضية ضد مجهول !

* * *

هل العفريت هو القاتل فعلاً ؟

بالتأكيد كان رأى جدتى مخالفًا لرأى المباحث والنيابة ، ولو كانوا يؤمنون بآراء جدتى ، ربما كان للقضية الغريبة مسار آخر !

* * *



نهار عادى ذلك الذى عاشته عائلة (أبونون) منذ أن بزغت شمس الصباح على بيوتهم القليلة المصنوعة من الطين ، مثلها مثل كثير من بيوت المزارعين فى صعيد أسيوط ، خرج رجالهم ونساؤهم وأطفالهم ككل يوم إلى حقولهم ، يزرعون ويكدحون تحت القيظ ، عندما انتصف النهار كانوا قد رطبوا الأرض السمراء بأمطار العرق التى سالت من جباههم ، وعندما مال قرص الشمس نحو المغيب .. تجمعوا فى ركن أحد الحقول ليبدءوا مهمة أخرى شاقة ، ضرورية لأهل الصعيد ، وهى « مخمرة الطين » الذى يحولونه فيما بعد لطوب يبنون به بيوتهم المتواضعة .

وما هى إلا دقائق ، وبينما الرجال منهمكون فى عملهم ، حتى صاح أحدهم وهو يرنو ناحية الطريق الذى يقطع الزراعات :

ـ خير .. اللهم اجعله خيرًا .

توقف الرجال عن العمل ورفعوا رءوسهم ناظرين نحو نفس الاتجاه وتمتم كبيرهم : لا أظن أنه خير على الإطلاق .

وكان ظن الرجل فى محله ، لكنه لم يكن يتخيل أبدًا أنه لم يبق أمام عائلة (أبونون) بأكملها سوى دقائق قليلة ، وتنمحى تمامًا من على ظهر الأرض !

* * *

على الناحية الأخرى من الطريق الزراعى ..

كان أربعة أشخاص من عائلة (أبى عميرة) يتقدمون نحو حقول عائلة (أبونون) والشرر يقدح فى عيونهم وهو يحملون المدافع الرشاشة ، ومن خلفهم يسير خمسة أشخاص آخرين من أعوانهم المدججين بالسلاح .

ومن على شجرة بعيدة نعق « غراب » بنذير الشر الذى فاحت رائحته فى الهواء فجأة .. وانقبض قلب (أمينة) وهى جالسة فى مكانها وسط الحقل على مقربة من زوجها وشقيقها ، برغم أن القدر شاء لها أن تكون الوحيدة على قيد الحياة من عائلة (أبونون) .

ولم يكن هناك أحد فى البلدة والقرى المجاورة يستهين بعائلة (أبى عميرة) ونفوذها وسطوتها .. وكان الجميع يعلم أن هناك ثأرًا قديمًا يعود لسنوات بين عائلة (أبى عميرة) وعائلة أخرى كبيرة ، راح ضحيته عدد كبير من أفراد العائلتين .

ولم يكن لعائلة (أبونون) علاقة بهذا الثأر من قريب أو بعيد .. لكن قدرهم شاء أن تكون بيوتهم وحقولهم على الحدود الفاصلة بين

العائلتين المتنازعتين ، ولسبب ما اعتقدت عائلة (أبى عميرة) .. أن عائلة (أبونون) كانت تنقل أخبارهم وتحركاتهم إلى العائلة الأخرى .. فأضمروا لهم الشر .

وكان يمكن للأمور أن تتوقف عند هذا الحد ، فلم يكن أحد يتصور أن تترك عائلة كبيرة مثل عائلة (أبى عميرة) ثأرها الأصلى ، لتدخل

فى نزاع مع عائلة صغيرة العدد ، لولا أن أحد أفراد عائلة (أبى عميرة) اشترى قطعة أرض من أحد أفراد عائلة (أبونون) ثم اختلف الاثنان على مساحة الأرض فقام البائع بصفع المشترى على وجهه .

وهنا قامت القيامة !

إذ كيف يجرؤ ، فرد من عائلة (أبونون) على صفع أحد أفراد عائلة (أبى عميرة) .

وكانت هذه الصفعة إيذانًا بالمذبحة التى راح ضحيتها ١١ شخصًا هم أفراد عائلة (أبونون) !

* * *

الجريمة البشعة تمت فى لحظات ..

تقدم أحد أفراد عائلة (أبى عميرة) من شقيق (أمينة) ، وقال له بصوت أجش : « هات قصبة نقيس بها الأرض التى بعتموها لنا » .

وبرغم أن شقيق (أمينة) رأى الشر فى عيون عائلة (أبى عميرة) فإنه سار خطوات ليحضر « القصبة » وهى أداة قياس الأرض عند المزارعين ، وما إن عاد بها حتى فوجئ بوابل من طلقات الرصاص ترديه قتيلاً .

وفى نفس اللحظة كان أفراد عائلة (أبى عميرة) الأربعة يطلقون مدافعهم الرشاشة على بقية أفراد عائلة (أبوبون) رجالهم ونسائهم وهم يقفون فى أماكنهم بلا حول ولا قوة ، فسقط منهم ١١ رجلاً وامرأة قتلى ، ولأول مرة يروون أرضهم بدمائهم .

لم تكن لديهم فرصة للمقاومة أو حتى الصراخ .

كان المشهد رهيبًا بحق .. وقد تناثرت جثث النساء والرجال فى الحقل ، وفى اللحظة نفسها التى أنهى فيها الجناة مهمتهم الوحشية واستداروا عائدين من حيث جاءوا .. نهضت من بين الجثث المضرجة فى دمائها امرأة فى عينيها رعب وفزع الدنيا كلها .

كانت (أمينة) نفسها ..

وكانت قد ارتمت فوق جثة شقيقها الذى كان أول القتلى .. وبينما احتضنته مولولة سقطت إلى جوارها جثة زوجها !

* * *

أسرعت (أمينة) تجرى كالمجنونة نحو الطريق الرئيسى إلى نقطة الشرطة الرئيسية ، وهى تصرخ كحيوان جريح وقد انفطر قلبها على أفراد عائلتها .. الذين كانوا قبل دقائق يعملون ويتغنون فى مرح ، وأصبحوا فى غمضة عين فى عداد الأموات .

أسرعت الشرطة إلى مكان الحادث ..

وفى مثل هذه الأحوال فإن أحدًا لا يتقدم للشهادة فى حوادث الثأر ، هكذا هى العادة .. لكن المفاجأة أن الشرطة وجدت مزارعًا كان يعمل فى حقله القريب .. يتقدم بكل شجاعة ليبلغ بأنه شاهد الجريمة بعينيه وهو يعمل فى حقله .

وفى اليوم التالى ..

كان الرائد (عبد الحفيظ) رئيس مباحث مركز أسيوط يندفع مع مجموعة من رجاله .. نحو أحد حقول الموز المملوكة لعائلة (أبى عميرة) .. حيث تمكن من القبض على الجناة الذين كانوا يختبئون داخل زراعات الموز ، ومعهم الأسلحة التى استخدموها فى جريمتهم .

وتحقق النيابة مع المتهمين التسعة .. وفى النهاية تحيلهم جميعًا إلى محكمة الجنايات .

وفى المحكمة يحاول الدفاع عن المتهمين الحصول على البراءة لهم .. وحجته فى ذلك قرص الشمس !

* * *

المفاجأة الأولى فى المحكمة أن المتهمين أنكروا جميعًا ارتكابهم الجريمة ، ووقف محامى المتهمين ليترافع عنهم قائلاً : لقد اعتمدت النيابة على إقامة الاتهام (على) شهادة الشاهدة (أمينة) ، التى قالت : إن الحادث وقع قبل غروب الشمس ، وكانت الرؤية واضحة .. بينما الحقيقة أن الحادث وقع بعد غروب الشمس فكيف أمكنها إذن أن تتعرف على شخصيات المتهمين ؟

وأضاف المحامى: لقد شهد خفير نقطة الشرطة أن الشاهدة (أمينة) وصلت نقطة الشرطة فى الساعة السادسة والنصف .. بينما كان أذان المغرب فى الخامسة إلا ثلاث دقائق .. كما أنها قطعت طريقًا طويلاً واستوقفت سيارة أجرة لتصل إلى نقطة الشرطة .

* * *

لكن المحكمة كان لها رأى آخر !

فقد قالت فى حيثيات حكمها : إنه استقر فى يقين المحكمة أن الحادث وقع قبل غروب الشمس وفى وضح الرؤية .

وقالت المحكمة : إن سبق الإصرار جوهره الحالة النفسية التى يمر بها المجرم قبل ارتكاب جريمته .. وهو الهدوء والروية بأن يكون قد أتم تفكيره وعزمه على تنفيذ الجريمة .. وتحقيق العنصر النفسى بإعداد وسيلة الجريمة .. ورسم خطة لتنفيذها بعيدًا عن ثورة الانفعال .

وقد أكدت أوراق القضية وجود خصومة ثأرية سابقة فضلاً عما نشب من نزاع حول قطعة الأرض وما نجم عنه من صفعة على الوجه .. انتوى المتهمون عقبها إزهاق أرواح المجنى عليهم .. وفكروا

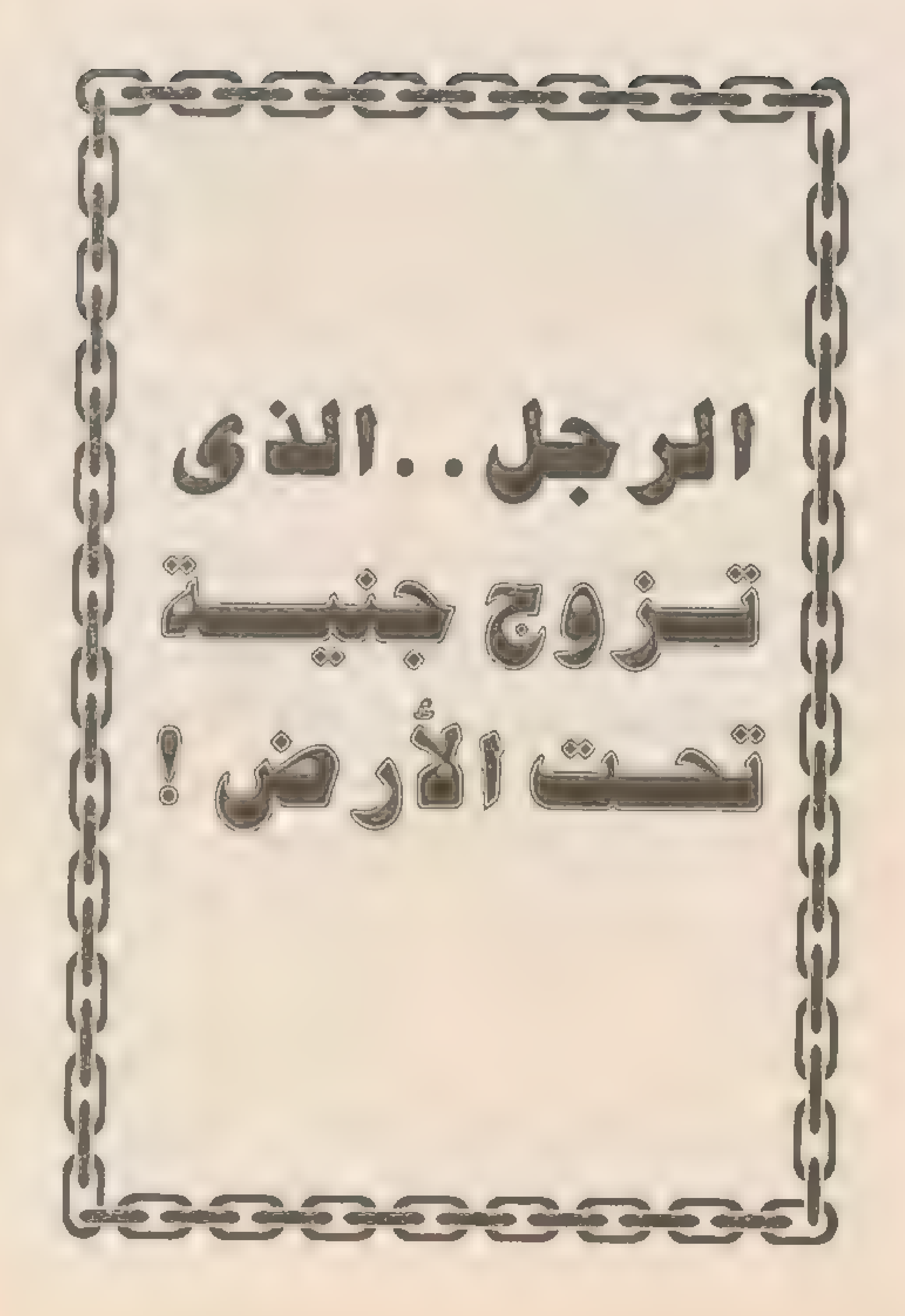
فى الخلاص منهم .. وعزموا على ذلك فى هدوء وروية وأعدوا الأسلحة واحتفظوا بها .. ورسموا خطة جوهرها الذهاب إلى المجنى عليهم فى منازلهم قبل غروب الشمس لتنفيذ جريمتهم ، وما إن ظفروا بهم حتى أطلقوا عليهم وابلاً من الأعيرة النارية وأعملوا فيهم القتل وسفك الدماء حتى أجهزوا عليهم .

* * *

وفى النهاية أصدرت المحكمة حكمها بالقصاص العادل ..

إعدام المتهمين الأربعة الذين ارتكبوا جرائم القتل ، والأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات لأعوانهم الخمسة الذين كانوا يحرسونهم أثناء ارتكاب الجريمة ..

* * *



هل يمكن أن يتزوج إنسان «جنية» من الجنيات التى تعيش فى عالم الجان تحت الأرض ؟ وهل تستطيع الزوجة «الجنية» أو العفريتة أن تستولى على جسد زوجها وعقله .. فتمنعه من الزواج بإنسانة بشرية ؟

وما علاقة كل ذلك بجريمة القتل البشعة التى كان على وكيل نيابة الزاوية الحمراء بالقاهرة أن يبحثها وأن يتخذ فيها قرارًا ؟

عندما تلقى مأمور قسم شرطة الزاوية الحمراء البلاغ الغريب .. أسرع مع مفتش المباحث إلى مسرح الحادث ..

شقة عادية .. لايميزها سوى صرخات امرأة تنبعث منها بلوعة .

كانت تصرخ بدموعها : أخى .. حبيبى مات ..

ومن اللحظة الأولى اكتشف رجال الشرطة أن الوفاة ليست عادية .. فقد كانت جثة المجنى عليه وهو شاب فى الثلاثين من عمره ترقد فوق فراشه .. لاحظ الضابط وجود كدمات عديدة على رأس الضحية وحول عنقه .. كانت تشير بوضوح إلى أن فى الأمر جريمة .. لكن لم يخطر أبدًا على بال الضابط أن تكون هذه الجريمة لها علاقة من قريب أو بعيد بعالم الجان والعفاريت .

لكنهم جلسوا يستمعون فى دهشة إلى حكاية القتيل الشاب على لسان شقيقته التى كانت تبكى بحرقة رحيل شقيقها .

فماذا قالت ؟

* * *

قالت أخت القتيل : إنه كان أحب أخوتها إلى نفسها ، بل إن كل إخوته كانوا يحبونه ويحترمونه ؛ فقد نشأ منذ صغره مهذبًا ودودًا يحب الجميع ، يحترم الكبير ويعطف على الصغير ، لم يكن أبدًا مصدرًا للمشاكل بل على العكس .. فقد كان أول من يتطوع لحل مشاكل الغير ومساعدتهم فى المواقف الصعبة .. وقد عاش حياته كلها فى هدوء وسلام .. كان ينجح باستمرار فى دراسته حتى تخرج مهندسًا زراعيًا فى كلية الزراعة ، وتم تعيينه فى مكتب وزير الزراعة نفسه .

وكما اكتسب حب وثقة أهله وجيرانه وأصدقائه .. اكتسب المهندس الشاب حب زملائه ورؤسائه العاملين معه .. فقد كان دائمًا خافت الصوت لا يسبب إزعاجًا لأحد .. حتى إن أحدًا لم يكن يشعر به على الإطلاق .

وفجأة حدث التحول الخطير فى حياة المهندس الشاب .. هذا التحول الذى أنهى تلك الحياة .. نهاية درامية غريبة .

ذات يوم فوجئت أسرته بزملائه فى العمل يحملونه فاقد الوعى إلى المنزل وأخبروهم أنه أصيب بنوبة تشنج فى المكتب أفقدته السيطرة على نفسه .. فسقط يتلوى على الأرض وسط ذهول زملائه وهو يهذى بكلمات غير مفهومة .

وأسرع إخوته ينقلونه إلى فراشه .. ويجلسون حوله ساعات حتى أفاق إلى نفسه أخيرًا .. وبدأ يتساءل فى حيرة عما حدث له .. ولماذا وجد نفسه فى فراشه وقد كان يعمل فى مكتبه .

وأدار إخوته نظراتهم بين أنفسهم ولم يجرؤ واحد منهم على أن يخبره بحالة التشنج التى أصابته .. اعتقادًا منهم بأنها حالة إرهاق .. وأنه لن يصاب بحالات تشنج مرة أخرى .

لكنها لم تكن الأخيرة .

ذلك أن حالات التشنج بدأت تتكرر ، وأصبح مشهدًا مألوفًا ومحزنًا أن تتغير ملامح وجهه فجأة وأن يستدير فمه .. فيسرع إلى وضع يديه على أذنيه وكأن الطبول تدوى فيهما .. ثم يصاب برعشة تنتاب أنحاء جسده .. ويدور حول نفسه مثل حيوان جريح .. ثم يسقط على الأرض فجأة .

وفكر إخوته فى أن يذهبوا به إلى الطبيب .. لكنهم أصيبوا بالذهول عندما سمعوا الحقيقة منه .

لقد تزوج « جنية » تعيش تحت الأرض !

قال لهم بصوت خافت كأنه يتكلم وهو نائم بعد أن أفاق من إحدى نوبات التشنج : أنقذونى فإنى لا أعرف ماذا أفعل .. ولا أعرف كيف حدث ذلك وكيف يمكن أن أتخلص منه .

لقد تزوجتنى « جنية » تعيش تحت الأرض .

وانفض إخوته من حوله غير مصدقين .. لكن الأيام أكدت لهم أنه لا يكذب .. وأن ثمة معاناة غريبة يعيشها شقيقهم المهندس الشاب .. ذلك أنه كلما فكر ـ مثل أى شاب ـ فى الاستقرار والزواج .. وكلما اختار عروسًا ملائمة تحدث مشاكل غريبة وعجيبة لا بد أن تنهى الزيجة بالفشل .

وكان يبكى ويقول لهم : ألم أقل لكم .. إنها ترفض أن أتزوج عليها من أخرى .. إنسية ؟!

* * *

هل كان يصدق القول ؟

وهل تزوجته تلك « الجنية » الشريرة ومنعته من الزواج بإنسية فعلاً ؟

لم يستطيعوا أبدًا الوصول إلى إجابة ، كل ما عرفوه أن حياة شقيقهم الهادئ المسالم قد تغيرت تمامًا فقد تولاه الاكتئاب المستمر .. وصام عن الكلام ، وعزف عن مقابلة الآخرين والجلوس إليهم .

وكان الأغرب أنه خرج من المنزل فى أحد الأيام وعاد بعد فترة وهو يحمل مجموعة من الكتب وضعها فى غرفته بحرص وبدأ يلتهمها نهارًا وليلاً فى اهتمام عجيب .. وعندما ذهب إلى عمله فوجئ إخوته بأن كل هذه الكتب تدور حول موضوع واحد : عالم الجان .. والسحر الأسود .. كيف يمكن تحضير الأرواح وكيف يمكن طردها .. والجان الطيب والجان الشرير .

واستغرقت هذه الكتب كل وقت المهندس الشاب المسكين .

فهل كان يريد أن يتعرف إلى عالم العروس « الجنية » .. التى تزوجته رغمًا عنه ؟

* * *

قالت أخته لرجال الشرطة : فى ليلة الحادث أصيب أخى بحالة تشنج فظيعة .. سقط يتلوى على الأرض وهو يهذى ويستنجد .. وتمزقت وأنا أشاهده على هذه الحالة دون أن أقدر على

مساعدته .. وفجأة تذكرت أن اثنين من أقاربنا اشتهر عنهما قدرتهما بالتحدث مع الجان وتحضير الأرواح .. فهرعت إلى منزلهما أستنجد بهما لينقذوا أخى من عذابه .

وأضافت قائلة : وحضر الاثنان وظلا يتلوان بعض آيات القرآن الكريم فى أذنه وهو راقد على فراشه يتألم من الروح الشريرة التى كانت تتقمص جسده .. وبدأ الاثنان يتلوان بعض الأدعية الغريبة .. ثم أحضرا قطة سوداء من المنزل وقاما بذبحها أمام عينيه .. لكنه ظل يتألم ويهذى .. فقاما بتكتيفه بالحبال ثم انهالا ضربًا عليه بالعصى ، وضغطا بقوة على رقبته لإخراج الروح الشريرة من جسده .. لكن التى خرجت كانت روحه هو ، مات أخى واستراح من عذابه !

* * *

ووقف الاثنان أمام وكيل النيابة يدافعان عن أنفسهما فقالا : نحن لسنا قتلة .. والمهندس قريبنا وحزننا عليه أكبر من أن يوصف .. وكل الذى حدث أننا أردنا إنقاذه .. تلونا القرآن الكريم فى أذنه لكنه فجأة تحدث إلينا بصوت شخص آخر زعم أن اسمه بدوى ورفض الخروج من جسده .. وزعم أنه سيقتله إذا حاولنا إخراجه من جسده .. قتل نفسه .. أو قتلته الأرواح الشريرة .

ولم تطل حيرة وكيل النيابة .. وسرعان ما اتخذ قراره : الإفراج عن أخت المهندس بكفالة مالية خمسين جنيهًا .. وحبس أقاربه الاثنين .. والتصريح بدفن الجثة .

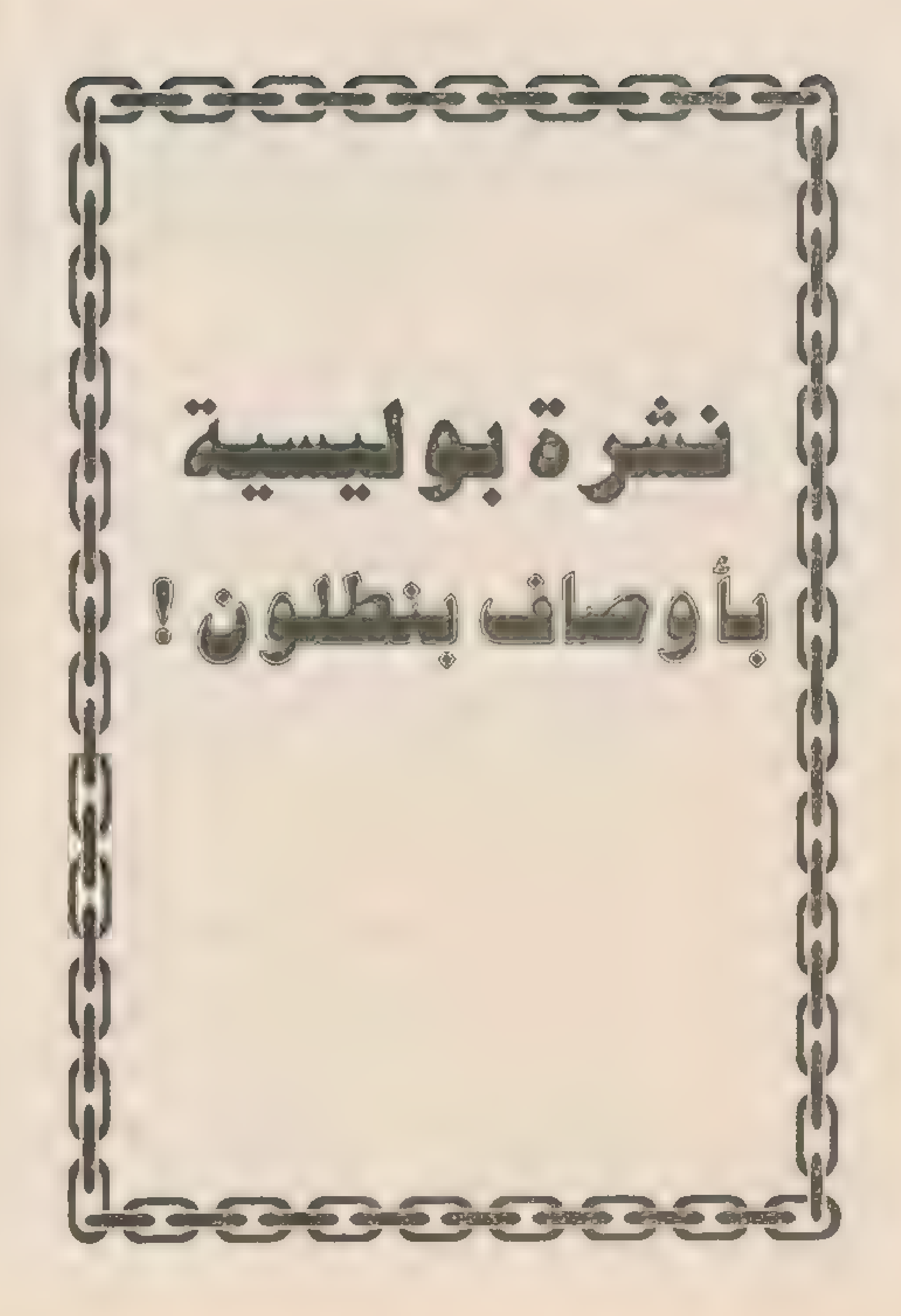
* * *

عيناه لم تعد ترى الدنيا حلوة ..

أو لنكن أكثر تحديدًا ، فإن عينه الواحدة بعد أن فقد عينه الأخرى ، لم تعد ترى فى الدنيا أى أمل فى حياة طيبة .

كان « الأعور » وهذا ليس اسمه بل شهرته ، قد أصبح لا يرى فى الحياة إلا اللون الأسود فهو منذ سنوات لم يعد يتذكر عددها قد نسى أنه إنسان يعيش وسط بشر ، و « استوحش » مثل حيوان جبلى مطارد ، أصبح يخشى الناس مثلما يخشونه ويخافون منه .

وهو لم يعد يذكر متى بدأ ذلك ، كل ما يذكره أنه ولد ونشأ وحيدًا ، لا يعرف له أبا ولا أما ، وعاش مشردًا فى الشوارع يقتات من الفضلات أو مما يلقيه إليه البعض من الفتات والبقايا .. كانت هذه فترة من حياته لكنه بعدها تعلم ألا ينتظر .. بل أن يمد يده دون دعوة .. وهكذا أصبح لصًا قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره .



هكذا كانت طفولته بائسة ، لكن شبابه كان أكثر بؤسًا ، كان بلا مأوى بعد أن أصبحت كل الشوارع بيته ، وأصبح الرصيف فراشه والسماء غطاءه الذى يلتحف به .

ومثل أى لص بدأ يعرف الطريق إلى السجن وهناك تعلم كيف يكون أكثر قسوة وأكثر مكرًا ؛ لكى يعيش وسط عالم لا يعرف الرحمة .. لكنه كان كلما خرج من السجن بعد انقضاء فترة حبسه سرعان ما كان يعود إليه مرة أخرى بعد أن يقبض عليه متلبسًا فى سرقة جديدة .

وهل كان سوء الحظ هو الذى يوقعه كل مرة فى قبضة الشرطة ، أو قلة مهارته وأسلوبه الفظ فى ارتكاب السرقات ، حيث كان يعتمد على إخافة ضحاياه بتكوينه الجسدى العملاق ونظرات عينيه المخيفة ؟

إنه لا يعرف سوى أن سرقاته تكررت ، وكذلك مرات القبض عليه ودخوله السجن ، وإنه كان دائمًا الخاسر الوحيد ، خسر سنوات من عمره قضاها بين الأسوار وخسر إحدى عينيه فى معركة داخل السجن مع أحد السجناء .

وهكذا فى المرة الأخيرة التى غادر فيها السجن اتخذ قرارًا مصيريًا بأن يتحول من لص .. إلى محتال .

★ ★ ★

كان « الأعور » قد تعلم فى السجن إحدى الحيل الجديدة المبتكرة من بعض اللصوص .

إنها حيلة « الضحية النائمة » .. التى تعتمد على تخدير الضحايا قبل سرقتهم .. حتى يفقدوا وعيهم ويصحبوا غير قادرين على الصراخ فلا يتعرض أمره للافتضاح .

وكانت الحيلة بسيطة فعلاً .. فقد كان يذهب إلى إحدى الصيدليات ويشترى بعض حبوب دواء « الاتيفان » المهدئة ، وهى حبوب تجعل متعاطيها يغط فى نوم عميق فور تناولها . وكان يشترى علبتى عصير من أى مكان وبطريقة ماهرة كان يفتح إحدى هاتين العلبتين ويذيب فيها الأقراص المهدئة ثم يعيد إغلاقها بدقة وإحكام وينطلق إلى محطة القطار حيث يختار ضحيته من وسط الزحام . فيقترب منه ويتعرف عليه ويتناول معه الحديث ثم يقوده دون أن يشعر إلى مكان هادئ

ثم يدعوه إلى تناول العصير .. وحتى يطمئن الضحية يقوم « الأعور » بفتح العلبة الأخرى ويشرب منها .. وما إن يشرب الضحية علبته حتى يفقد وعيه ويستسلم إلى السبات فيقوم « الأعور » بسرقة نقوده ومحفظته ثم يفر هاربًا تاركًا الضحية غارقًا فى النوم .

واحترف « الأعور » هذه الحيلة وتخصص فيها واحتكر ممارستها فى مدينة الإسماعيلية أو بالتحديد فى محطة قطار المدينة المليئة بالقادمين والذاهبين من البسطاء الذين يمكنه إغراؤهم وسرقتهم .

وتصور « الأعور » أن هذه الحيلة لن تجعله يسقط أبدًا فى قبضة الشرطة ولن يعود مرة أخرى إلى السجن .. وأنه سيظل يسرق بسهولة ما يشاء مدى الحياة .

لكنه عاد إلى السجن بسبب « بنطلون » !

* * *

دخل محطة قطار القنطرة فى الصباح ، وأخذ يمسح المكان بنظرات عينه الواحدة الماكرة .. التى سرعان ما استقرت على شابين صغيرى

السن أحدهما فى السادسة عشرة والثانى دون ذلك بعام واحد ، كانا جالسين فى انتظار القطار المتجه إلى القاهرة .

وسار نحو الشابين فى هدوء وجلس بجوارهما دون أن يعيرهما أى انتباه أو اهتمام .. لكنه بعد دقائق استدار إلى الكبير وسأله عن موعد قيام القطار المتجه إلى القاهرة ، فأخبره الشاب أن القطار سيتحرك خلال دقائق ، وهكذا انطلق يتحدث معهما ويروى لهما قصة وهمية عن أسرته التى تنتظره فى القاهرة والإجازة التى حصل عليها من عمله بالإسماعيلية .

بعد دقائق انطلقت « صفارة » القطار معلنة إشارة تأهب القطار للرحيل .. فانطلق « الأعور » مع الشابين واستقل معهما القطار وأشار عليهما بأن يجلسوا معا فى العربة الأخيرة بعيدًا عن زحام الركاب .

ما حدث بعد ذلك تم بسرعة شديدة .. ذلك إنه بمجرد أن استقر « الأعور » على مقعده بجوار الشابين حتى دعاهما إلى تناول علبة عصير معه ، وما إن تناولاها حتى سقطت رأس الصغير

على كتف الكبير الذى سقطت رأسه على صدره بعد دقيقة واحدة .

وأسرع « الأعور » يبحث فى جيوب الشابين اللذين فقدا الوعى لكنه كاد أن يصرخ من المفاجأة ذلك أنه لم يعثر فى جيوبهما على قرش واحد .

ووقف ينظر إليهما فى حسرة .. لقد سقطا فى غيبوبة لكنهما لا يحملان شيئًا سوى تذكرتى القطار ولقد أوقعه حظه السيئ فى ضحيتين فقيرتين ، فماذا يفعل ؟ امتلأ بالغيظ وهو ينظر إليهما .. وفجأة أسرع يخلع بنطلون الشاب الكبير .. فقد وجد أنه من نوع « الجينز » وقد كان يتمنى دائمًا أن يحصل على بنطلون « جينز » .

* * *

عندما وصل محصل القطار كان « الأعور » قد هبط فى أول محطة حاملاً البنطلون المسروق واختفى فى الزحام .. وأسرع المحصل باستدعاء الشرطة وتم نقل الشابين من

القطار إلى أقرب مستشفى لإسعافهما لكنهما ظلا فى غيبوبة يومين كاملين .. وحين أفاقا رويا للشرطة قصة « الأعور » والعصير المخدر .

وفى نفس اليوم كانت نشرة بأوصاف لص البنطلون صاحب العين الواحدة قد وزعت فى كل محطات القطار .. وفى نهاية ذلك اليوم تم القبض عليه وأمرت النيابة بإحالته إلى محكمة الجنايات التى قضت بأقصى عقوبة على « الأعور » .

وعاد إلى السجن ليقضى فيه هذه المرة ٧ سنوات أشغال شاقة .

* * *



الحب .... فى إيصال أمانة!

قد تتعجب ياسيدى القاضى ؛ إذ تجد أمامك لأول مرة امرأة أجنبية تقف فى محكمة مصرية وتطلب أن تطبق عليها القوانين المصرية .. صحيح أننى شقراء .. زرقاء العينين .. صحيح أن اسمى أجنبى .. لكن الحقيقة ياسيدى القاضى أننى لست أجنبية ولست مصرية أيضًا .

وقد تتعجب أكثر ياسيدى القاضى إذا قلت لك : إننى لا أعرف بالتحديد إجابة لهذا السؤال : هل أنا أجنبية ؟ أو إننى مصرية ؟ هل أنا من الزمالك ..

حيث أعيش ، هذا الحى الأستقراطى الهادئ .. أو من بولاق .. هذا الحى الشعبى الأصيل .. الذى لا يفصله عن الزمالك سوى نهر النيل ؟

الإجابة ياسيدى القاضى .. طويلة وغريبة .

إنها حكايتى .. قبل أن تكون قضيتى .

الحقيقة أننى ولدت فى مصر .. لكن من أبوين غير مصريين .. كان أبى وهو إيطالى الجنسية قد ورث عن والده الإيطالى ـ أيضًا ـ الذى كان يعيش فى القاهرة مصنعًا كبيرًا فى حى بولاق ، وكالعادة فإن الأجانب فى مصر فى فترة من الفترات كانوا يعيشون معًا فى نظام أقرب لنظام الجاليات ..

وتعرف والدى وهو شاب على أمى .. كانت فتاة هولندية حسناء خاضت الحرب العالمية الثانية مجندة فى جيوش الحلفاء .. وبعد انتهاء الحرب عادت لتعمل فى سفارة بلدها بالقاهرة .. حيث التقت بوالدى وسرعان ما ربطت بينهما قصة حب عنيفة انتهت بالزواج .

وكانت ثمرة هذا الزواج بين الإيطالى والهولندية طفلاً وطفلة .

وهكذا نشأت مع أخى الكبير فى منزلنا بالزمالك ، ديانتى هى المسيحية بحكم المولد ، لكننا لم نكن نحمل الجنسية الإيطالية التى هى جنسية والدنا .. أو الجنسية الهولندية التى تنتمى إليها أمنا ..

وبالطبع لم نكن مصريين .

لكنى رضعت مصريتى وأنا طفلة .

كانت (زبيدة) المربية المصرية العجوز التى أشرفت على رعايتى منذ طفولتى هى بوابتى إلى عشق مصر وأهل مصر .. كانت تتحدث عن بلدها وناسها بفخر واعتزاز ورغم جهل المربية العجوز إلا أنها غرست فى أعماقى بالتدريج النفور من التحرر الزائد والمادية التى يتميز بها أهل الغرب .

هكذا نشأت على يدى مربيتى .. مزيج من الميل الغامض لكل ما هو مصرى .. وأعصاب ساخنة حادة ورثتها من والدى الإيطالى وتفكير هادئ منظم عن أمى الهولندية الجسور .

ومرت السنوات .. وبدأت ظروف أسرتى تتعثر بعض الشىء بسبب التأميم .. ومع ظاهرة هجرة الأجانب من مصر والعودة إلى بلادهم فى تلك الأيام .. قرر أخى الكبير أن يهاجر إلى باريس حيث سافر إلى هناك واستطاع أن يشق طريقه بمفرده وأن يكون لنفسه حياة مستقلة .

أما أنا فقد بدأت متاعبى ، وألحقتنى أسرتى بمدرسة من المدارس الأجنبية القليلة التى كانت فى القاهرة ، لكنى لم أستطع مواصلة الدراسة بها ولم أستطع التكيف مع الفتيات الأجنبيات اللاتى كن يتحدثن عن مصر بترفع ، بل إنهن كن ينظرن إلىّ على أننى مصرية .

وفى نفس الوقت لم أستطع الاستمرار فى أى مدرسة مصرية .. فكيف تتواءم شقراء نصفها إيطالى ونصفها هولندى مع التلميذات المصريات .

وتعثرت فى دراستى .. حتى وقعت فى «مطب الحب» !

* * *

فى نادى الجزيرة التقيت به ، شاب وسيم مفتول العضلات .. فى عينيه بريق ساحر .. ظل يطاردنى شهوراً عديدة بكلمات الإعجاب .. والحقيقة أننى وجدت فى نفسى ميلاً إليه وانجذبت مشاعرى تجاهه وعندما جاء ذات يوم ليطلب يدى .. أيقنت أننى وقعت بالفعل فى غرامه .

وأسرعت به إلى منزل أسرتى .. حيث عرفته بوالدى ووالدتى .

وفى اليوم المحدد .. جاء مع والدته وهى سيدة أعمال معروفة ليلتقى بأفراد أسرتى .. كانت تحمل فى يدها حقيبة مليئة بآلاف الجنيهات لتكون مهرًا لى .

لكن أبى الإيطالى قال لها : أرفض نظام المهر .. وأنا لا أبيع ابنتى .. إذا كانت تحب ابنك وهو يحبها ويريدان الزواج .. فليتزوجا وليتحمل الاثنان حياتها معًا .. وهكذا تزوجت .. كان مهرى ٢٥ قرشًا ومؤخر صداقى جنيهًا واحدًا لا غير .

كنت صغيرة وعاشقة وانتقلت لأعيش فى شقة صغيرة فى وسط القاهرة مع زوجى الشاب الذى أحببه ومرت أيام وشهور الزواج الأولى وكأننى أعيش فى حلم جميل لا أريد أن ينتهى أبدًا .. وخاصة أننى سرعان ما حملت فى أحشائى ثمرة هذا الزواج جنينًا بدأ يتحرك فى بطنى .. وبعد شهور جاءت ابنتى الوحيدة .. التى كانت هدية السماء لى .

* * *

لكن الحلم يا سيدى لا بد له من نهاية ..

أما حلمى أنا فقد تحول إلى كابوس مخيف .. فقد انتهت أيام السعادة لتبدأ أيام الشقاء .. بدأ زوجى يعانى من الملل .. ويقضى معظم ساعات

النهار والليل خارج البيت .. ولا يحضر إلا لكى ينام ثم يستيقظ ليخرج مرة أخرى ويتركنى مع الوحدة وطفلتى الصغيرة .. وبدأت أعانى من الغيرة .. وآه من الغيرة إذا تسللت إلى قلب امرأة .. وخاصة إذا كانت صغيرة السن لديها طفلة صغيرة .

كنت أهرع فى منتصف الليل إلى الشارع .. أدور فى كل مكان بحثًا عن زوجى .. فى الأماكن التى تعود السهر فيها مع أصدقائه .. وكلما استمر فى هجرانه اشتعلت نيران الغيرة .. وكلما اشتعلت نيران الغيرة فقدت أعصابى أكثر .. وخاصة بعد أن تحولت مشاعر حماتى ضدى ووقفت فى صف ابنها .

وازداد خوفى بمرور الأيام من أن أستيقظ ذات يوم لأجد زوجى قد هجرنى وأخذ طفلتى الوحيدة لأن القانون لايسمح للزوجة المسيحية بحضانة طفلتها من الزوج المسلم .

وهكذا فى صباح أحد الأيام .. غادرت المنزل .. وبعد ساعة واحدة كنت أقف أمام فضيلة شيخ الأزهر ، لأقول : أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن سيدنا ونبينا وشفيعنا محمدًا رسول الله .

لكن إشهار إسلامى لم ينه المشكلة .. ولم يلن قلب زوجى .. واستمرت المشاكل ووجدت نفسى وحيدة وعاجزة .. وانهارت أعصابى .. فذهبت إلى أحد الأطباء المعروفين .. واستقبلنى الرجل بترحاب ، فقد كان يعرف زوجى ووالدته .. وبدأت أتردد عليه للعلاج .. وتطور الحديث الطبى بين المريضة والطبيب إلى حديث عائلى .. فقد فوجئت بأن الطبيب يعرف نوايا زوجى ووالدته تجاهى ..

ويعرف أن زوجى سوف يهجرنى حتمًا .

ووقع ما كان منتظرًا .. وتم طلاقى !

وأنهيت كل إجراءات الطلاق مع زوجى وأنا أعتقد أن مشاكلى قد انتهت .. لكننى كنت واهمة ، فقد كان الجرح فى أعماقى ما زال ينزف .. كنت ولغرابة ذلك ما زلت أحبه ، وكنت مصدومة بعد أن اكتشفت أنه تزوج بأخرى .. كانت راقصة .

ودون أن أشعر .. خرجت من هذا المطب لأقع فى حفرة أكبر اتساعًا .

* * *

تخيل يا سيدى القاضى .. أننى فى هذه الأيام البائسة اعتقدت أن الوحيد الذى يقف (جنبى) هو طبيبى .. وخاصة بعد أن قابل أبى وأمى أنباء طلاقى بلا مبالاة غريبة .

قال لى أبى : كما يقول المصريون : الشرط نور .. وأنا فى البداية لم أتدخل فى زواجك وعليك أن تتحملى كل العواقب .. فقد كان هذا اختيارك وحدك .

لم يعد أمامى أو معى .. سوى الطبيب .

وليته ما كان .

كانت أعصابى قد انهارت تمامًا .. وأسرعت إلى طبيبى فنصحنى بأن يعطينى حقنة مهدئة مددت يدى إليه .. غرز الحقنة فى شراينى .. وبعد دقائق أعصابى قد استرخت واستراحت تمامًا .

وتكررت القصة فى اليوم التالى وقبل أن أطلب منه أن يغرز الحقنة المهدئة فى شراينى .. وبمرور الأيام تحولت إلى مدمنة ، وأنا وسط ضياع هذا الإدمان لم أستطع أن أكتشف مدى سعادة طبيبى بإدمانى .. لم أكتشف يا سيدى القاضى أنه كان يلف خيوط المخدر حول أعصابى حتى أقع فى شباكه ..

لم أدرك مدى بشاعته إلا عندما بدأ يصارحنى بأنه يهوانى .. الطبيب .. الرجل المتزوج الذى تعدى الخمسين من عمره ! وأفقت إلى نفسى .. التفت إلى طفلتى الصغيرة لأجد أنها تحتاج لمن

يرعاها ويربيها ولن يكون هناك غيرى .. فمن غير الأم أحن على طفله ؟

وأعلنت الثورة على إدمانى .. قضيت أيامًا فظيعة بعد أن تمردت على المخدر الذى كان طبيبى يحاول أن يسرقنى به .. لكن فى النهاية بالإرادة وبالإيمان بالله استطعت أن أتخلص من إدمانى .. ومن طبيبى مرة واحدة .

* * *

ذات يوم فوجئت بأننى مطلوبة أمام المحكمة .. أسرعت إلى المحامى وأنا مذهولة .. فلاتوجد خصومات بينى وبين أى إنسان .. لكنى فوجئت بما لم أكن أتخيله على الإطلاق .

عندما جئت إلى المحكمة عرفت أن الطبيب قد أقام ضدى أغرب دعوى .. إنه يطالبنى بسداد مبلغ ٥ آلاف جنيه برغم أننى حصلت عليها منه بعد أن أعطيته إيصال أمانة .. أرجو يا سيدى القاضى أن تقرأه حتى تكتشف أنه مزور تمامًا .. وهل توجد على ظهر الدنيا إنسانة تكتب إيصالاً يقول : استلمت مبلغ ٥ آلاف جنيه من

الدكتور فلان الفلانى .. لأننى أحبه حبًا جمًا وأتعهد أن أكون مخلصة له مدى الحياة .. هل هذا إيصال أمانة ؟

وهل يمكن أن أكتبه ؟ وما هو رأيك يا سيادة القاضى ؟

* * *

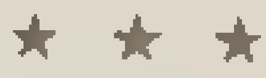
لم يرد القاضى ..

وقرر تأجيل نظر القضية .

* * *

مخدرات .. تحت وسادة الزوجة !

الأبطال .. هم أقل الناس قدرة على وصف تفاصيل المعارك .. والمشغولون بتناول الطعام هم آخر الضيوف الذين يجيدون وصف المأدبة .. والذين يصنعون الحياة .. لا يكتبونها .. هل ينطبق ذلك على .. (نفيسة) ؟ وهل كان باستطاعتها أن تكتب قصة حياتها المليئة بالمفارقات والتضحية والظلم ؟ كلا .. لم تكتب (نفيسة) قصة حياتها .. ليس لأنها كانت امرأة أمية لا تقرأ ولا تكتب .. ولكن .. ببساطة .. لأنها عاشت هذه القصة الغريبة .. وكتبتها .. بأيام عمرها !



لم تكن (نفيسة) نجمة سينمائية أو سيدة مجتمعات ، حتى تفكر فى تدوين مذكراتها .

كانت امرأة عادية .. أو أقل من العادية .. مثلها مثل الملايين غيرها من النساء البسيطات اللاتى لم يسمع أحد عنهن ، ولم تذكر الجرائد أخبارهن ولم تظهر صورهن وهن يرتدين أحدث خطوط الموضة العالمية .

وما لنا نبالغ هكذا ونتحدث عن الموضة ، إن (نفيسة) نفسها لم تكن تعرف معنى هذه الكلمة وكيف تعرفها من عاشت حياة الفقر والحرمان منذ أن فتحت عينيها وهى طفلة صغيرة على الحياة لتدرك أن المرأة لها اهتمامات أساسية وإلا فهى ليست امرأة .. ولتعرف أن على المرأة أن تعمل لتساعد زوجها لكى تمضى سفينة الحياة إلى شاطئ الأمان .

ولدت (نفيسة) فى أسرة فقيرة فى أحد الأحياء الشعبية .. حيث يعيش الناس متلاصقين محشورين .. وشهدت بعينها وهى لا تزال طفلة كم يقاسى والدها العجوز من أجل لقمة العيش ، والتى كان عليه أن يسد به سبعة أفواه .. هو وزوجته وخمسة أطفال كانت (نفيسة) أصغرهم .. وكعادة الفقراء .. لم تتعلم (نفيسة) ولم تذهب إلى المدرسة .. فبنات فقراء ليس عليهن إلا أن ينتظرن اليوم الذى تحدث فيه المعجزة .. ويحضر « عريس الغفلة » .. لينقذ الأب المسكين من عبء .. إحدى فتياته .

* * *

وهذا هو ما حدث تمامًا مع (نفيسة) .

رحبت الأسرة بعريس (نفيسة) ترحيبًا لا مثيل له .

ورغم أنه كان عاملاً بسيطًا لايزيد راتبه عن جنيهات معدودة .. إلا أنه استطاع أن يدخر مبلغًا لابأس به .. يكفى لتأثيث شقة صغيرة للزواج فوق سطح أحد البيوت القديمة .. فى حى شعبى آخر مجاور .

وتمت إجراءات الزواج سريعًا .. وانتقلت (نفيسة) خلال الشهور القليلة إلى منزل زوجها .. لتبدأ حياتها الجديدة .. ولتعرف الابتسامة طريقها إلى وجهها .

وحتى لانظلمها .. فإننا نؤكد أنها لم تشك يومًا من ظروف الحياة فى منزل أسرتها .. لقد ولدت فقيرة ولم تكن ترى فى ذلك أى عيب فتقبل الحياة مع الفقر بإيمان غريب .. لايعرفه إلا هؤلاء البسطاء المخلصون واندمجت فى هذه الحياة .. فلم تشك أو تتذمر منها .. لكنها ما كانت تستطيع أن تمنع أحلامها بحياة أفضل .

وهكذا عقدت (نفيسة) العزم على تحويل منزل « الزوجية » المتواضع إلى جنة .

هل نقول إنها فعلت ذلك ؟

نعم ..

من اليوم الأول لزوجها وهبت نفسها لزوجها وقررت أن تعمل على إسعاده وإرضائه كأى زوجة مخلصة متفانية . كان يخرج إلى عمله فى الصباح فتغادر فراشها فى نشاط .. تشمر عن ساعديها وتبدأ فى تنظف منزلها وتقلبه رأسًا على عقب .. ثم تسرح إلى السوق لشراء الخضار وحاجات المنزل وتعود لتطهو الطعام الذى يحبه زوجها .. ثم تتنظف وترتدى أفضل ملابسها .. وتقبع خلف النافذة .. فى انتظاره .

وتعلمت من اليوم الأول لزواجها ألا تعترض على زوجها .

وهكذا لقنتها أمها .. فالرجل هو سيد المرأة وحاكمها وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة فى بيته .. وكان زوجها سعيدًا بذلك .. لكن الغريب أنها كانت سعيدة أيضًا .

ولماذا لاتسعد .. وقد من الله عليها بهذا الزوج وهذا البيت .. ثم بثلاثة أطفال صغار كانوا قرة عينها ؟

كان سر سعادة (نفيسة) كامنًا فى بساطتها وإخلاصها ..

والغريب أن هذه البساطة وهذا الإخلاص كانا أيضًا سر تعاستها وشقائها !

* * *

كان زوجها بعد سنوات من الزواج قد هجر عمله وزعم أنه التحق بأحد الأعمال التجارية .. لم تفكر أبدًا فى أن تسأله عن عمله الجديد .. ولماذا تسأل وهو لايرفض لها ولأطفالها طلبًا .. ولم تشعر يومًا بأن بيتها ينقصه شىء ؟

وربما كان ذلك هو الخطأ الوحيد الذى ارتكبته فى حياتها البائسة .. أنها لم تسأل زوجها عن عمله .

بل إنها لم تسأل نفسها بعد .. لماذا لم تسأله فى غمرة الأحداث العنيفة التى غيرت مجرى حياتها تمامًا .

وقد بدأت الأحداث ليلة « الخميس » بالتحديد .

كان زوجها قد خرج لقضاء السهرة فى المقهى كعادته .. وبعد أن ساعدت أطفالها فى تناول العشاء .. وذهبت بهم إلى الفراش .. ورقدت وسطهن تروى لهم الحكايات حتى أخلدوا إلى النوم .. تسللت من حجرة الأطفال فى هدوء لتعد طعام العشاء لزوجها .. ثم دخلت إلى الحمام وخرجت بعد فترة امرأة أخرى .

وجلست فى ثياب نومها اللامعة تنتظر زوجها وهى تمنى نفسها بإسعاده الليلة .. كما فعلت منذ أن تزوجها ..

وهرعت من فراشها بسرعة عندما سمعت صوته يسعل وهو يصعد درجات السلم القديم .. استقبلته باسمة .. ثم جلست أمامه ترقبه وهو يتناول الطعام .. وبعد أن انتهى نهض إلى غرفة النوم .

وعادت إليه بعد أن رفعت الأطباق .

ما أغرب أن ينتهى الحلم .. بكابوس .

ذلك أن الإنسان وهو يحلم تصفو مشاعره ويرتفع إلى عنان السماء فيتجرد من كل ألم أو خوف ، ولكن قسوة « الكابوس » أنه يجعل الإنسان .. عاجزا ..

يرتفع إلى أعلى ليرتطم بالأرض فى قسوة .. يحاول أن يصرخ .. أن يتأوه .. أن يقاوم .. فلا يقدر وذلك هو ماحدث مع (نفيسة) .. فى تلك الليلة المشئومة .

كانت قد استكانت فوق الفراش إلى جوار زوجها بعد عناء اليوم الطويل .. أغمضت عينيها فى كسل وهى تسمع ثرثرته عن أصدقاء المقهى .. وكانت لاتعلم إلى أين سينتهى الحديث .

لكنها فجأة سمعت دقات مخيفة على الباب !

كلا .. لم يكن القادم المجهول يدق الباب .. بل كان من شدة الدقات يبدو وكأنه يريد .. أن يخلع باب المنزل .

هبت مذعورة ـ مع زوجها ـ لتتبين الطارق القادم فى موعد غير مناسب .

وقفت فى ذعر إلى جوار زوجها فى ردهة المنزل .

وسأل زوجها بصوت مرتعش : من بالباب ؟

رد بصوت مخيف : البوليس .

كان الكابوس قد بدأ .. ولم ينته بعد .

فما إن فتح زوجها الباب حتى اندفع ضابط وعدد من الجنود إلى داخل الشقة وتفرقوا فى أنحائها .. فاستيقظ الأطفال مذعورين .

وأخذ الضابط يرمق زوجها بنظرات ثاقبة وكأنه يعرفه .

سأله الضابط : أين البضاعة يا (برعى) ؟

فوجئت بزوجها يرتعد غير قادر على الإجابة .. وحارت فى استسلامه العجيب .. لماذا يقف هكذا جامدًا كالصنم .. لماذا لا يصرخ فيهم بأن يغادروا بيته ؟

لم يرد زوجها ..

فأسرعت (نفيسة) : وماله .. فتش المنزل كما تريد .. لن تجد شيئًا ممنوعًا .

لم يلتفت الضابط إليها .. بل أمر رجاله بتفتيش المنزل بينما اتجه إلى غرفة النوم ليفتشها بنفسه .. كم مضى عليها وهى واقفة بباب الغرفة تنقل نظراتها بين الضباط وبين زوجها الذى كان قد فقد القدرة تمامًا على النطق لكن يا لهول ما رأت .

ذلك الضابط وضع يده تحت وسادة زوجها .. وأخرج يده وهى تمسك بلفافة .. ما إن فتحها حتى قربها من وجه زوجها الذى كان قد فقد دماءه تقريبًا .

وقال له الضابط : حشيش .. يا (برعى) ؟

ارتج على زوجها فلم ينطق بكلمة واحدة أمام الدليل الدامغ .. وتدافعت الظنون والهواجس والأفكار السوداء فى رأسها فكادت أن تفقد عقلها .. زوجها تاجر مخدرات دون أن تعلم ؟ وأين يخفى المخدرات تحت وسادة على فراشها ؟

قال له الضابط : ارتد ملابسك .. فسوف تذهب معنا .

هل يلقون القبض على زوجها ؟

هل يدخل السجن ويتركها هى وأولادها للضياع ؟

قال زوجها : هذا الحشيش .. ليس لى .

سأله الضابط بسخرية : إذن لمن هو ؟

ساد الصمت .. ثم وقعت المفاجأة .

قالت (نفيسة) : هذا الحشيش .. لى .

★ ★ ★

فى طريقها إلى السجن .. كانت تشعر بحالة غريبة من الرضاء .. لقد ضحت بنفسها من أجل زوجها ، أو بالتحديد من أجل أطفالها .. فلو كان زوجها هو الذى دخل السجن لتشرد أطفالها فى الشوارع .. هكذا اعترفت للشرطة والنيابة بأن الحشيش يخصها وأنها تتاجر فيه .

وهكذا تقرر حبسها ثم تقرر مد فترة الحبس على ذمة تقديمها إلى المحاكمة .

وتم ترحيلها إلى سجن النساء .. وكعادتها لم تشك أو تتبرم .. ولم يكن السجن نفسه يضايقها .. بل كان أكثر ما نغض أيامها فيه

وجعلها تترك الطعام وتفضل العزلة هو حرمانها من رؤية أطفالها .. لو تفهم لماذا امتنع زوجها عن زيارتها أو اصطحاب الأطفال معه «لتكحل عينها برؤيتهم» .. وكم من ليال قضتها ساهرة فى الزنزانة بينما كل السجينات يستغرقن فى نوم عميق .. تسيل دموعها فى صمت شوقًا لأطفالها .

ومرت شهور .. وذبلت (نفيسة) وخف وزنها ورسم الشحوب هالات سوداء حول عينيها اللتين جفت الدموع منها من كثرة البكاء .

وأخيرًا اقتنعت بنصيحة زميلاتها السجينات ..

قلن لها : يا عبيطة .. لماذا تضحين بنفسك وتحرمين من أطفالك .. فسوف تقضين سنوات فى السجن وقد يتزوج رجلك من أخرى تذيق أطفالك العذاب وربما تشردهم فى الشوارع .

وهكذا أنكرت (نفيسة) فى المحكمة أن الحشيش يخصها ، ودافع محاميها عنها بأنها ليست مسجلة خطر فى أرشيف البوليس بتجارة المخدرات وما هى إلا ربة بيت عادية شاء قدرها أن ينحرف زوجها ويعمل دون علمها فى تجارة السموم .

وهكذا قررت المحكمة الإفراج عن (نفيسة) .. ومرت الأيام والأسابيع وهى فى زنزانتها تنتظر الانتهاء من إجراءات الإفراج ..

وأخيرًا جاء قرار الإفراج عنها ..

وعندما فتحوا باب زنزانتها فى الصباح .. ليبشروها بالخبر السعيد .. لم تسعد ولم تفرح ..

كانت قد ماتت على فراشها فى الزنزانة !

* * *

كانت حالتها مينوساً من شفائها . نعم كان (أحمد) الذى يعمل موظفاً بسيطاً يعلم ذلك عن زوجته (ميرفت) ، وعبثاً حاول أن يقنعها بأن تذهب معه للطبيب خوفاً من حدوث ما لا تحمد عقباه ، لكنها كانت ترفض وعلى شفتيها ابتسامة غامضة .

وتقول له : وهل شكوت لك .. هل حدث فى يوم من الأيام أن قلت « آه » ؟

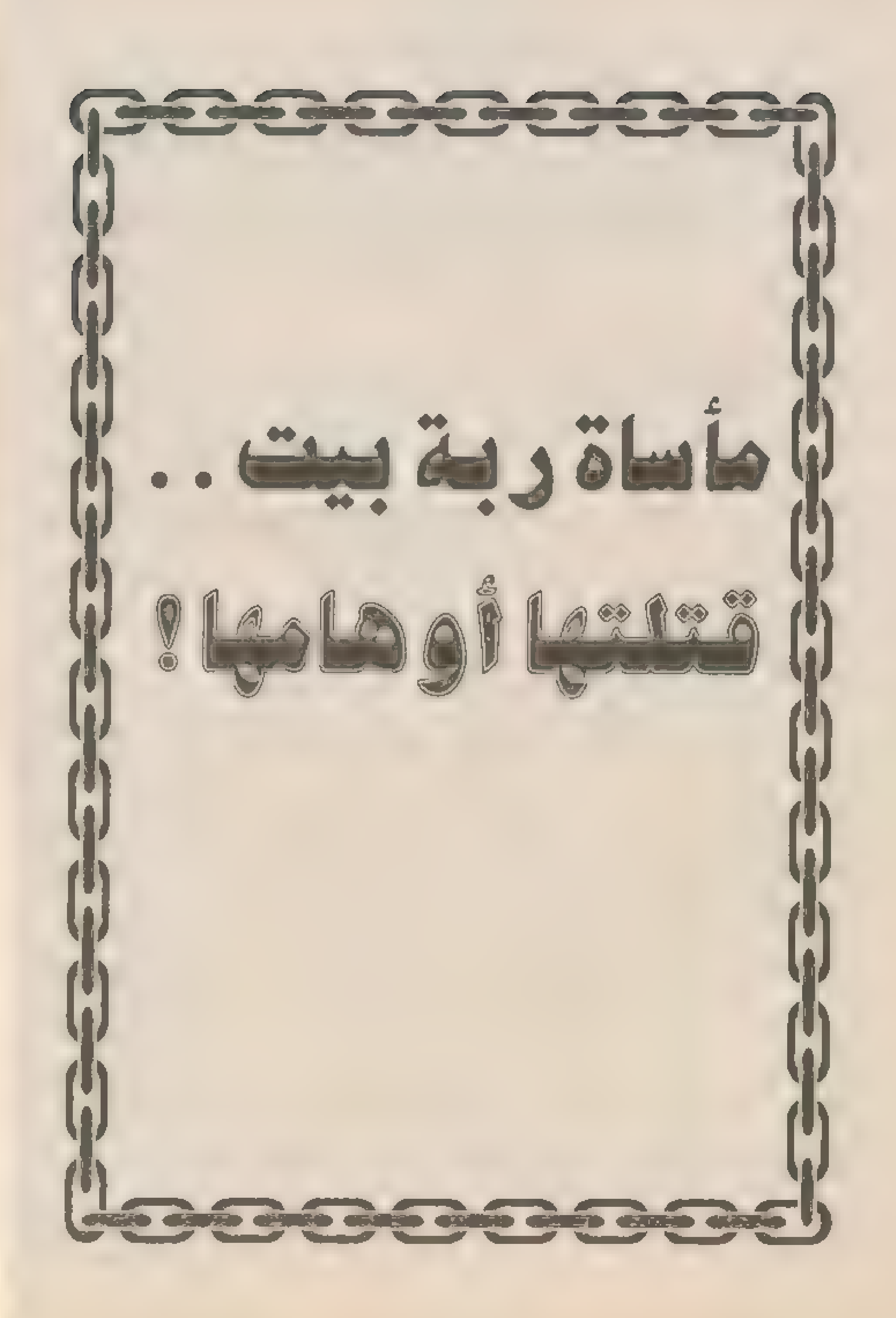
لا يرد (أحمد) ..

لكن الحقيقة التى كانت غائبة عنها أنه هو الذى كان يقول « الآه » من مرضها العجيب الذى حيره وأوجعه دون أن يحيرها أو يوجعها .

لم تكن مريضة بمرض خبيث .. لم تكن تعانى من سوء فى الهضم .. أو عسر فى الكلام .. أو ضعف فى الإبصار .. لم يكن المرض فى أسنانها .. ولا فى أذنيها .. لم يكن فى قلبها أو صدرها .

كان مرضها الغريب : تقمص أدوار بطولات الأفلام والمسلسلات .

عندما تزوجها وانتقل معها إلى عش الزوجية فى مدينة حلوان الهادئة على أطراف القاهرة ظن أنه انتقل إلى الجنة ، فقد كانت (ميرفت) مثالاً للزوجة التى تسعد قلب أى زوج صغير السن ..



جميلة ، متعلمة .. مهذبة .. خلاصة القول إن كل الصفات الحميدة قد تجمعت فيها .. وهكذا عاش معها شهر عسل حقيقى كانت كل لحظة من لحظاته تساوى عمرًا بأكمله .

وانتهى شهر العسل .. ليبدأ ـ على حد قوله لأسرته فيما بعد ـ سنوات (البصل) !

ذلك أن السعادة طارت بانتهاء شهر العسل وحل الشقاء فى أول يوم من أيام عودته للعمل ، كان الأمر أشبه بمسرحية من مسرحيات العبث واللامعقول .

عاد من عمله مسرعًا متلهفًا على لقائها رغم أنه لم يغادرها إلا من ساعات ، وعندما دق الباب فوجئ بامرأة غريبة تفتح له .. تسمر مذهولاً وهو يحدق فى المرأة التى كانت ترتدى جلبابا أسود اللون وتعصب شعرها بمنديل (بنوية) وتضع على وجهها بعض مساحيق التجميل بطريقة مقززة ، وقد رسمت هالات سوداء فوق عينيها .. وكورت فمها فى قسوة .

للحظات تردد وهو يظن أنه دق بابًا آخر غير باب شقته .. لكنه بقى واقفًا أمام هذه المرأة الغريبة الملامح .. والتى شعر أنه رآها من قبل .

نعم هو يعرفها .. أدرك ذلك من صوتها الذى حاولت تغيير نبرته .

وهى تقول : اتفضل .. ما تخافيش يا شابة .. ده حسب الله جوزى !

كلا .. ومليون كلا .

لم تكن (ريا) أخت سكينة قد عادت من قبرها لتفتح له الباب .. ولكنها (ميرفت) .. زوجته الحبيبة !

* * *

ورغم أنها حاولت بعد قليل أن تهدئ من روعه ، وأن تجعله يضحك ، وقالت له إنها شاهدت فى التليفزيون بعضًا من مشاهد فيلم (ريا وسكينة) ، فأرادت أن تمثل دور (ريا) .

سألها بذهول : لكن لماذا ؟

قالت ببراءة : ولماذا لا ؟

الحقيقة أننى لا أعرف وكل ما أعرفه أننى بمجرد مشاهدتى للفيلم وجدت نفسى أبحث عن ملابس سوداء تشبه ملابس (ريا) ، وأقوم بعمل مكياج لتقليدها .

عاد ليسأل فى حيرة أكثر : لكن لماذا ؟

قالت ببراءة أكثر : لا أعرف .. لكن ذلك يرضينى .. ويبعث فى نفسى حماسًا لا حدود له .

وعبثًا حاول أن يعترض ، وعبثًا حاول أن يفهمها خطورة مثل هذا التصرف ، لكن اعتراضاته كلها تلاشت أمام مداعباتها واعتذاراتها اللطيفة .. فنسى الأمر .. أو حاول أن يتناساه .

* * *

لكن القصة لم تنته بانتهاء يوم (ريا وسكينة) ؛ إذ بدأ المسكين يعيش مأزقًا جديدًا كل يوم ومشكلة كل أسبوع بسبب مرض (ميرفت) الغريب .

ففى مرة استدعاه رجال الشرطة من العمل ليذهب منزعجًا ، وفى مركز الشرطة يفاجأ بوجود (ميرفت) هناك ، ويكتشف أن رجال الشرطة قبضوا عليها وهى تحوم حول منزل قتيلة كان رجال المباحث يحققون فى حادث قتلها وسرقة مصوغاتها وبصعوبة شديدة استطاع أن يقنعهم بإطلاق سراحها بعد أن قررت أنها «زوجة كولومبو» المخبر الخاص التليفزيونى الشهير ، وشرح

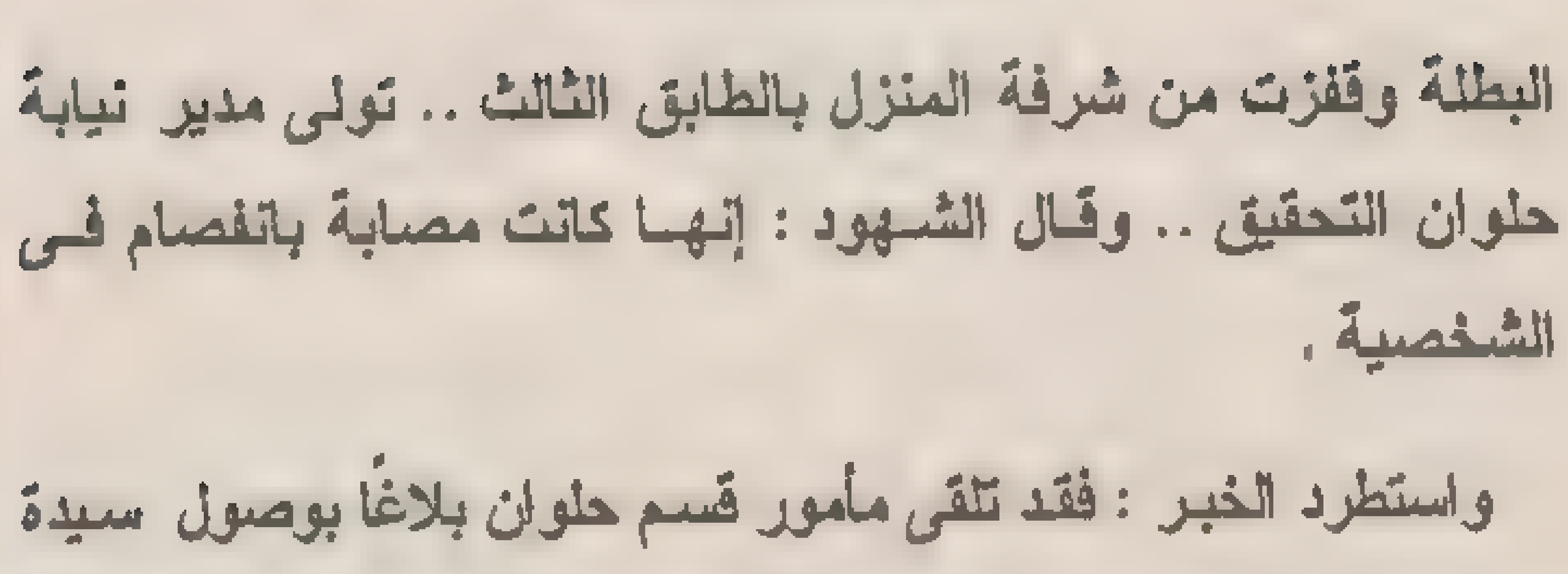
لهم كيف أنها تقمصت شخصية زوجة (كولومبو) فأوقعت نفسها وأوقعته فى هذا المطب .

وفى مرة أخرى عاد إلى المنزل ودق الباب فكاد أن يغمى عليه ، عندما فتحت له وهى ترتدى زى ضابطات الشرطة الذى قامت بتفصيله لنفسها .. بعد أن شاهدت قبل أسبوع على شريط فيديو الممثلة (نبيلة عبيد) تلعب دور ضابطة شرطة تطارد المجرمين وتقبض عليهم !

مواقف عديدة صعبة واجهها بسبب تصرفاتها الغريبة .. حتى إنه لم يعد يقلقه كثرة هذه المواقف ، بقدر ما أصبح مهمومًا وحزينًا فى خوفه عليها ومن خشيته أن تؤذى نفسها ، وخاصة بعد أن عرف جميع جيرانه وأقاربه حكايتها ، وبعد أن رفضت كل المحاولات التى بذلها زوجها وأفراد أسرتها لإقناعها بالذهاب إلى الطبيب النفسى لعلاجها من هذا المرض الغريب .

* * *

نشرت صحف القاهرة الخبر التالى : انتحرت ربة منزل بحلوان بعد أن شاهدت فيلمًا أجنبيًا بالتليفزيون ، وتقمصت شخصية



البطلة وقفزت من شرفة المنزل بالطابق الثالث .. تولى مدير نيابة حلوان التحقيق .. وقال الشهود : إنها كانت مصابة بانفصام فى الشخصية .

واستطرد الخبر : فقد تلقى مأمور قسم حلوان بلاغًا بوصول سيدة عمرها ٢٠ سنة إلى مستشفى حلوان العام وقد لفظت أنفاسها الأخيرة نتيجة سقوطها من مرتفع ، وإصابتها بصدمة عصبية .. تم تشكيل فريق بحث لمعرفة ظروف الحادث وهل هناك من دفعها أم لا .. وتبين من التحريات أن السيدة مصابة بانفصام فى الشخصية وأنها كانت تتقمص الأدوار التى تشاهدها فى الأفلام ، وأنها رأت فيلمًا أجنبيًا انتحرت فيه البطلة بهذه الطريقة فنفذتها ..

وشهد جيرانها بأنهم شاهدوها وهى فى أتم زينتها وقد دخلت إلى الشرفة ثم وضعت يديها على عينيها .. وقفزت !

* * *

العرافة التى خدعتنى !

أظلمت الدنيا فى عينيها فلم تعد ترى إلا اليأس وكل المعانى المتشائمة والأفكار والظنون السوداء .. كانت قد عانت كثيرًا فى حياتها حتى تخيلت أنها نالت نصيبها من الهموم وكفى !

لكن الأيام أوقعتها فى ورطة لم تستطع الخلاص منها وأصبحت قليلة المقاومة عاجزة عن حلها .. ماذا تفعل بجن ينقلها إلى عالم ملىء بالأشرار !

تنهدت وهى تسير فى الطريق إلى منزل العرافة العجوز المشهورة .. وتمنت أن تجد الحل عندها .. بعد أن يئست من كل الحلول .

حقًا ! هل تساعدها العرافة فى استعادة أموالها المسروقة ؟

عاشت أحاسيس الوحدة منذ نعومة أظافرها .. فهى يتيمة الأبوين عاشت وتربت فى كنف عمتها العجوز التى كانت تعاملها معاملة قاسية حادة .. لكنها كانت تقابل هذه المعاملة رغم صغر سنها بصبر شديد ، وكانت تستغرق فى مذاكرة دروسها وهى تعلم أن الحل الوحيد أمامها أن تنجح فى دراستها وتكمل تعليمها وتتخرج ؛ لتحصل على وظيفة توفر لها الاستقرار والأمان وتمكنها من أن تعيش حياتها فى منزلها بعيدًا عن عمتها القاسية .

وأخذت تنجح وتنتقل من سنة دراسية إلى أخرى .. ومرت السنوات بسرعة حتى تخرجت وبسرعة عثرت على الوظيفة المناسبة : مدرسة فى إحدى المدارس الابتدائية .. لكنها اكتشفت أن راتبها

يكاد بالكاد يكفى تنقلاتها ومصاريف ملابسها وأنه لا أمل على الإطلاق فى أن يكون لها بيت خاص .

ولذلك كانت سعادتها عظيمة عندما علمت أن اسمها قد أدرج ضمن أسماء المدرسات اللاتى تم اختيارهن للإعارة للعمل فى دولة الكويت .. ولم تصدق نفسها وهى تركب الطائرة .. أخيرًا ستحصل على راتب كبير تدخر منه ما يكفى لشراء شقة لها .

ولم تشعر بالغربة كثيرًا .. فقد شعرت بالوحدة طوال عمرها .. كانت غريبة فى وطنها .. بلا أهل أو صديقات .. وهكذا مرت سنوات الغربة .. وعندما ركبت الطائرة عائدة إلى القاهرة بعد انتهاء إعارتها كانت تتحسس حقيبتها الصغيرة .. فى هذه الحقيبة خطاب من البنك يفيدها بأن رصيدها قد أصبح رقمًا بجواره ثلاثة أصفار .. أخيرًا أصبحت آلاف .. أخيرًا ستشترى الشقة .

فى غرفة مظلمة لا يضيئها سوى أعواد البخور المشتعلة جلست باكية أمام العرافة العجوز تروى بقية حكايتها ..

قالت للعرافة : بعد أن عدت من الإعارة أخذت أبحث عن شقة مناسبة لأعيش فيها حتى عثرت على عمارة جديدة فى أطراف حى الخليفة بالقاهرة .. وذهبت لأجد أن صاحبة العمارة تطلب منى ١٠ آلاف جنيه خلو رجل ورغم ضخامة المبلغ فقد وافقت أولاً : لأننى بالفعل أصبحت أمتلكه ، وثانيًا : لأن الشقة التى لا تزال

تحت التشطيب كانت بالفعل شقة جميلة واسعة .. تمامًا كما كنت أتخيلها فى أحلام يقظتى .. وفى اليوم التالى أسرعت إلى البنك وأحضرت مبلغ العشرة آلاف جنيه وأعطيته لصاحبة العمارة بدون إيصال لأن خلو الرجل غير مشروع قانونًا .. ووعدتنى صاحبة العمارة بتسلمى الشقة وكتابة العقد بعد شهر .. وانصرفت سعيدة بحسن حظى الذى أوقعنى فى هذه الشقة الجميلة .. ومرت أيام .. وذات يوم كنت أسير بجوار العمارة .. ودفعنى الشوق إلى الصعود إلى الشقة لكى أستطلع عملية التشطيب وكانت المفاجأة أننى وجدت أنه تم الانتهاء بالفعل من تشطيب الشقة .. وبدون ما أشعر وضعت يدى على الزر .. لكن المفاجأة الأعظم كانت عندما فتح باب الشقة ووجدت رجلاً يطالعنى .

سألته بدهشة : من أنتَ ؟

قال لى : من أنتِ ؟

عدت لأسأله : أنا صاحبة الشقة .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وقال : أعتقد أن صاحب الشقة هو الموجود داخلها وليس الذى على السلم !

وقبل أن أفيق من ذهولى .. أخبرنى الرجل أنه استأجر الشقة منذ أسبوع .. فأسرعت إلى صاحبة العمارة كالمجنونة .

لكنى فوجئت بها تقول لى : من أنت ؟ أنا لا أعرفك ولم آخذ منك أية نقود !

.. وهكذا أسقط فى يدى .. فأنا يا سيدتى لم أحصل منها على إيصال يفيد أنها تسلمت منى مبلغ العشرة آلاف جنيه ولا جدوى من إبلاغى للشرطة .. لكن بعض أولاد الحلال أخبرونى بقدرتك على تحضير الأرواح والجان ، وقالوا لى إنك يمكن أن تساعدينى .

قالت لها العرافة العجوز : لقد صدقوا .. وسأعيد إليك نقودك الضائعة !

أشعلت العرافة العجوز النار فى البخور وظلت تتمتم بعبارات غير مفهومة وتصرخ حتى ارتعشت المدرسة المسكينة من الخوف .. وأخيرًا .

قالت : لقد أخبرنى أحد العفاريت بأن موضوعك سهل .. ويمكنك الآن أن تذهبى إلى صاحبة العمارة وستعطيك نقودك .

اعترضت المدرسة : لكنها تنكر أنها تعرفنى !

صرخت العرافة فيها : اذهبى .. قبل أن يغضب العفريت !

عادت المدرسة إلى صاحبة العمارة غير مصدقة .. لكن ذهولها كان عظيمًا عندما طرقت باب صاحبة العمارة ففوجئت بها تفتح لها مرحبة هاشة وبدون أن تتكلم كانت صاحبة العمارة قد أحضرت لفافة .

وقالت لها : إنى أعتذر لك .. وهذه هى نقودك .. عشرة آلاف كاملة !

ـ هل هذا معقول ؟

كانت المدرسة تحدث نفسها كالمجنونة فى طريق عودتها إلى العرافة العجوز غير مصدقة لما حدث .. لكن النقود فى يدها كانت تؤكد أنها حقيقة .

وعندما دخلت حجرة العرافة العجوز قالت لها بفرحة : سيدتى .. لقد حدث ما توقعته وأعادت لى صاحبة العمارة نقودى .. اطلبى أى شىء يا سيدتى ؛ فأنا مدينة لك باستعادة نقودى .

أشاحت العرافة بوجهها فى استياء .

وقالت للمدرسة : أنا لا أتقاضى نقودًا من أحد .. يكفينى أن أعيد لك حقك الضائع .

توسلت المدرسة : لكن يجب أن تتقبلى منى هدية بسيطة .

زمجرت العرافة : لن آخذ منك شيئاً .. بل فى الحقيقة إنى سوف أعطيك !

قالت لها العرافة : أنت إنسانة بسيطة مخلصة حسنة النية .. سوف أساعدك مرة أخرى .. اتركى هذه النقود هنا وتعالى فى الصباح لتأخذيها .. سأقوم بتحضير روح أحد العفاريت ليبارك نقودك حتى لا يحتال عليك أحد ويستولى عليها مرة أخرى .

قالت المدرسة بحماس : أشكرك من كل قلبى .. هذه هى النقود وسأعود .. لآخذها فى الصباح !

ظلت المدرسة تبكى بشدة وهى تروى للعقيد (علاء مقلد) مفتش المباحث تفاصيل ما حدث فى الصباح .

قالت له : ذهبت يا سيدى فى صباح اليوم التالى إلى العرافة .. وقبل أن أطلب منها نقودى .

قالت لى : يا بنتى إنى آسفة جدًا .

سألتها منزعجة : لماذا ؟

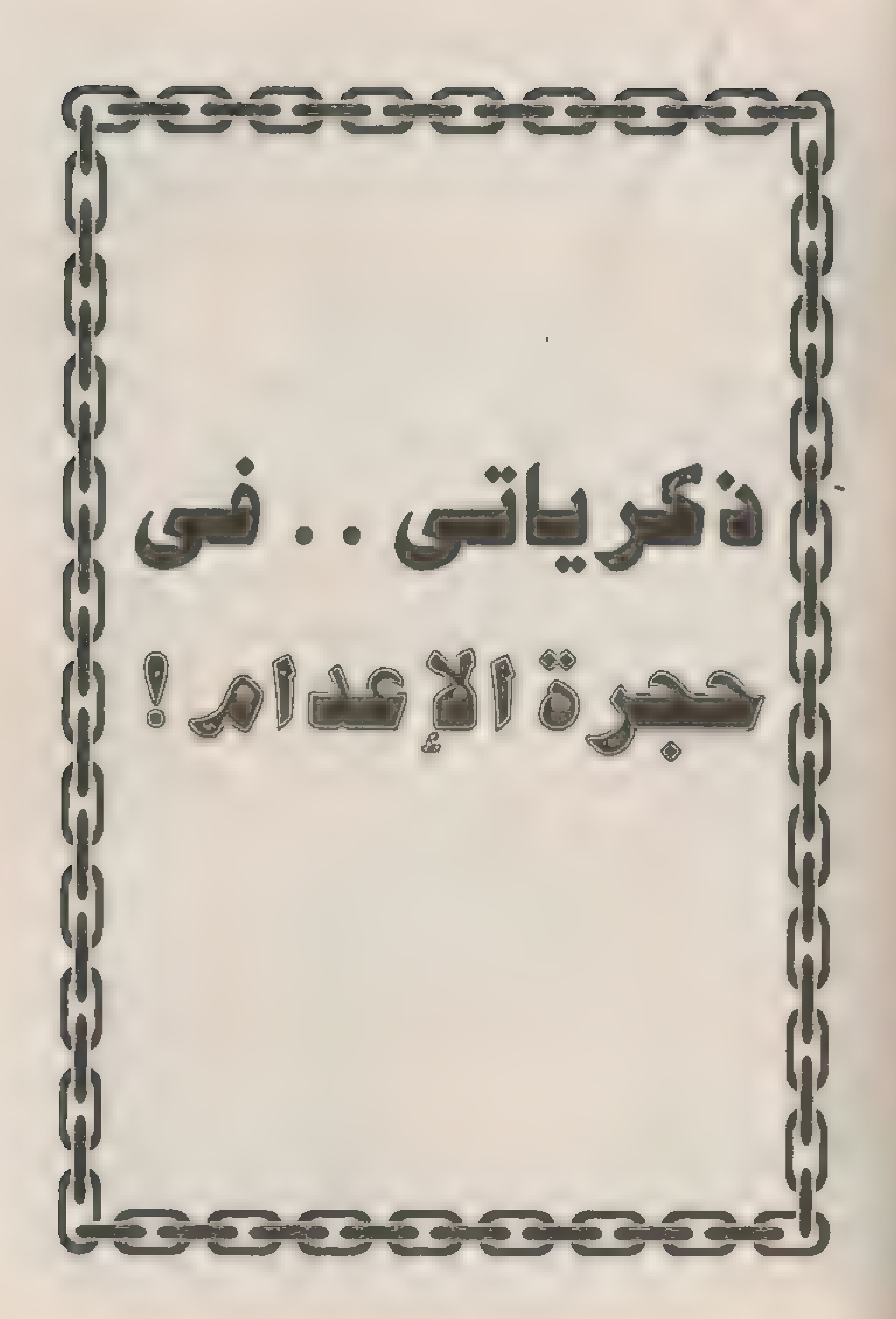
قالت العرافة : لقد حضر العفريت وأخذ نقودك إلى باطن الأرض لكى يباركها .. لكنه رفض الصعود مرة أخرى !

قصة غريبة ..

لكن الأغرب أن مفتش المباحث عندما ألقى القبض على العرافة العجوز وأحالها إلى النيابة قررت الإفراج عنها !

ومازالت المدرسة تبكى نقودها .. ومازال العفريت تحت الأرض .. يرفض الصعود !

* * *



كنت أتخيل أى شىء إلا أن تكون أول مهمة صحفية لى فى أول يوم عملى كصحفية أن أكلف بتغطية إعدام شخص !

عندما دلفت ذلك الصباح الصيفى الحار إلى مبنى الجريدة . وكنت قد انتهيت من دراسة الصحافة فى الجامعة على مدار أربع سنوات . كانت تتراقص فى مخيلتى صورة ملونة عن مستقبلى القادم كصحفية . شارك فى رسمها ما ترسب فى ذهنى عن هؤلاء الصحفيين الذين يظهرون فى الأفلام والمسلسلات العربية . حيث أصبحت أخيرًا قاب قوسينِ أو أدنى أن أكون واحدة منهم .

كنت أحلم بأنهم فى الجريدة سوف يكتشفون مواهبى من اللحظة الأولى ، ولا بد أنهم سوف يعينوننى مساعدًا لرئيس التحرير . أو يكلفوننى بكتابة مقال اجتماعى خطير ، أو إجراء حديث مهم مع شخصية سياسية لها وزنها . لكن أحلامى هذه كلها انهارت فى لحظة واحدة . عندما جلست أمام ذلك الصحفى العتيد وهو متشاغل عنى بأوراق أمامه يقرؤها باهتمام . وعندما انتهى منها نظر إلى شزرًا ..

وسألنى : فى أى قسم من أقسام الجريدة تَرغبين فى العمل ؟

لسبب مجهول ارتبكت ولم أعرف أين ضاع صوتى ..

وأخيرًا قلت بصوت يشبه الهمس : ربما .. أريد العمل فى قسم الأدب .. اتسعت عيناه دهشةً وكأنه ينظر إلى كائن غريب .. ثم فى اللحظة التالية انفجر فى نوبة ضحك هيستيرى .

ثم سألنى وهو مازال يضحك : وما بال .. قسم « قلة الأدب » ؟!

* * *

انتهى لقائى السريع « غير المريح » مع الصحفى العتيد بأن كلفنى بالعمل محررًا فى قسم الحوادث .. وقال لى :

ـ فى العادة أن محرر الحوادث يجمع مادته من محاضر ومن تقارير الحوادث والجرائم اليومية .. لكن سوف أعطيك فرصة عمرك لكى تقومى بمهمة صحفية أكثر إثارة .. فجر الغد سوف يتم إعدام (فلان) المحكوم عليه بالموت شنقًا . عليك أن تقومى بحضور عملية الإعدام ، ولتعودى فى الصباح ومعك تحقيق كامل عن العملية !

غادرت الجريدة ومشاعر وانفعالات شتى تتصارع فى نفسى . ولكن المؤكد أن صورة الصحفى الملونة وهو يكتب المقال السياسى الخطير .. قد تبخرت وسط هذه الانفعالات .

وعندما هبط الظلام .. بدأت مشاعر أخرى تنتابنى .. عندما اكتشفت فجأة أننى آخر من يصلح لأن يكون محررًا للجرائم ؛ فأنا شخصية مسالمة . وأنا لا أميل للعنف بطبعى . فكيف يمكن أن أتحمل مشاهدة إعدام إنسان ثم الكتابة عن هذا المشهد الفظيع ؟!

* * *

فى سجون مصر .. ينفذون عمليات الإعدام عادة قبل الفجر .. وهم فى العادة لايسمحون لنزلاء السجن بمغادرة زنزاناتهم فى الليلة التى سيتم فيها إعدام شخص ما ، لكن بطريقة أو أخرى يشعر نزلاء السجن بما سيحدث ، ويقولون : إن السجناء جميعهم لايستطيعون النوم تلك الليلة ، وشبح الموت يتجول فى ردهات السجن الخالية .

فى الموعد المحدد ..

كان حارس السجن يفتح لى البوابة الخشبية الضخمة . ومنها إلى مكتب مدير السجن حيث فوجئت بوجود عدد كبير من الأشخاص يشكلون ما يسمى بـ « هيئة الإعدام » ومنهم وكيل النيابة والطبيب والواعظ . والغريب أنهم كانوا يحتسون الشاى ويتحدثون فى موضوعات شتى دون أن يشير أحد منهم من قريب أو بعيد إلى ماسوف يحدث بعد دقائق !

كنت أنظر إليهم فى دهشة وأكثر من سؤال يبحث عن إجابة فى نفسى «ترى هل يعرف السجين المحكوم عليه بالإعدام أنه لم يبق له فى هذه الحياة سوى دقائق معدودة ؟ كيف شعوره الآن ؟ وبماذا يحلم إن كان لايزال نائمًا فى زنزانته » ؟

فجأة نهض الجميع .. ووقفت مثلهم واتجه الحشد إلى مبنى السجن الداخلى حيث لاحظت أن شخصين يقفان إلى جانب الباب ،

وعندما مررت إلى جوار أحدهما وحانت منى لفتة إليه ارتعد جسدى .. فقد عرفت أنه .. الجلاد أو ما يطلقون عليه اسم (عشماوى) ! أما الرجل الثانى .. فقد كان مساعده .. « جلاد الموت » يحتاج إلى مساعدة !

* * *

صعد الحراس إلى زنزانة المحكوم عليه بالإعدام وأمامهم رئيسهم الضابط الذى فتح باب الزنزانة ، ونظرت من خلفه لأجد ساكنها وهو شاب فى الثلاثينيات جالسًا على فراش حديدى صغير . يقرأ فى المصحف بصوت خفيض ..

نظر إليه الضابط بإشفاق ..

وقال : الآن .. تذهب معنا ..

لدهشتى وجدت الشاب الذى كان يرتدى البدلة الحمراء الخاصة بالمحكوم عليهم بالإعدام ينهض من على فراشه . وقال للضابط بصوت واضح لا ارتعاش فيه : نعم .. الآن أذهب معكم ! كان المشهد مخيفًا بالفعل .. صفان من حراس السجن يقفون على الامتداد من باب الزنزانة ومرورًا بالسلالم الحديدية الكبيرة وحتى الطابق الأرضى إلى أمام حجرة مكتوب على بابها بخط اليد كلمتان مخيفتان : « حجرة الإعدام » !

* * *

سار الشاب المحكوم عليه بالإعدام فى ثبات وهبط السلالم بين صفى الحراس حتى انتهى أمام « هيئة الإعدام » التى كانت تقف بالانتظار . وأنظارهم جميعًا تتجه إليه . كان الظلام قد بدأ ينسحب تدريجيًا وضوء الصباح البعيد يظهر على خجل من بعيد .

وبدأ وكيل النيابة يتلو ملخصًا للجريمة وتفاصيل المحاكمة بصوت جهورى لا حياء فيه . وكيف تقدم المحكوم عليه بالإعدام بالتماس لتخفيف عقوبة الموت ، لكن الالتماس رفض ، وعندما انتهى أخيرًا اتجه مدير السجن إلى الشاب الذى كان يقف وحده فى مواجهة الجميع . وعلى بعد خطوة خلفه تسلل الجلاد (عشماوى) ومساعده دون أن يشعر ، وسأله مدير السجن هل ترغب فى شىء ؟

رد الشاب من فوره : شكرًا .. لا شىء .. وهنا تقدم الواعظ بملابسه المميزة وهو يتمتم ببعض آيات القرآن ، وقال للشاب : استغفر لنفسك يا ولدى .. فأنت على بعد خطوة من لقاء ربك .

حدق الشاب فى حدة إلى الواعظ .. ثم قال له : أستغفر الله لى ولكم .. إنى أعلم يا مولانا أن حديثى لن يجدى شيئًا الآن وإنى مفارق الدنيا بعد دقيقة . لكنى أذكر أنى لا أستحق الموت ، لقد أخطأت لكن الموت أعظم من أن يكون ثمنًا لجريمتى لأننى لم أقتل أحدًا وهذا ليس القصاص العادل .

أسقط فى يد الواعظ العجوز .. أو هكذا خيل لى .. لكنه همس للشاب : هذا قضاء اللّٰه وقدره يا ولدى فاستغفر الله وتشهد .

* * *

على حين غرة من الجميع .. أطبق الجلاد من الخلف على الشاب وقيد يديه بقيد من الجلد الرفيع .. وفى هذه اللحظة فقط اهتز الشاب فى مكانه ، ودارت عيناه فى محجريهما وزاغتا ، وأخذ الجلاد يدفعه نحو غرفة الإعدام !

* * *

لن أنسى ما حييت هذه الغرفة .. غرفة كبيرة واسعة لا شىء فيها على الإطلاق سوى المشنقة فى نهايتها ، حيث أوقفوا الشاب ووضعوا على وجهه وعينيه عصابة حتى لا يرى شيئًا وهو يموت !

ولا أعرف كيف كان إحساسى عندما وضع الجلاد حبل المشنقة حول عنق الشاب ، تسمرت عيناى على المشهد الغريب ، ولم أعد أشعر بشىء غير أن أنفاسى توقفت فجأة ، وبدا كما لو أن صدرى سوف ينفجر . كما لو أننى غير قادرة على التنفس ، كما لو أن حبل المشنقة أحاط برقبتى أنا وليس هو !

ماذا فعل الجلاد ؟ لابد أنه فى لحظة سريعة قد أدار شيئًا أو ضغط زرا بالحائط ، فقد انفتحت الأرض الخشبية التى كان يقف

فوقها الشاب المعلق بحبل المشنقة ، فإذا هو قد سقط إلى قاع الغرفة . وأحدث سقوطه دويًا مفزعًا كاد يمزق قلبى ..

وانتهت حياة إنسان ..

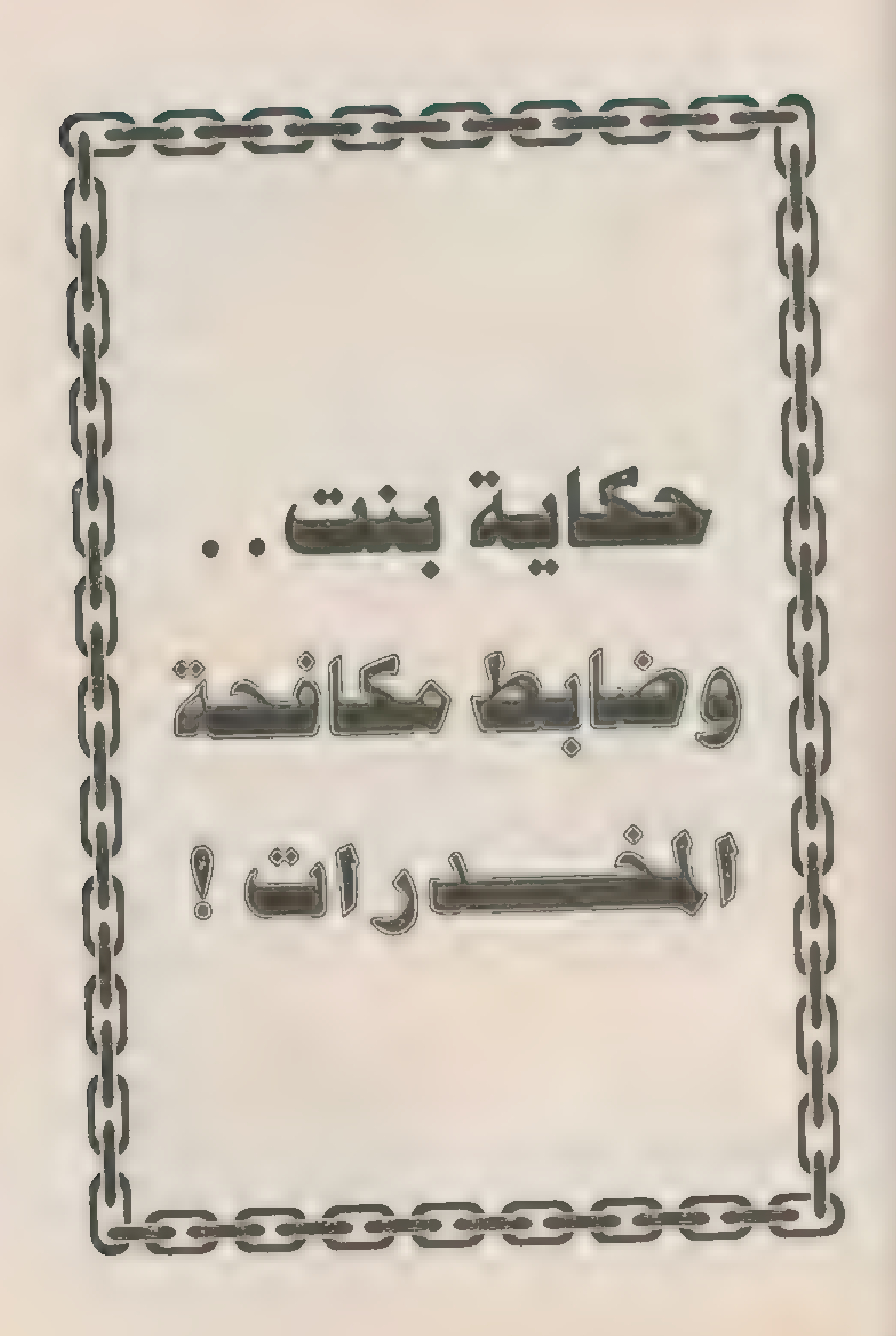
★ ★ ★

حضرت « عملية الإعدام » كما كلفونى فى الجريدة .. لكن لم أعد إليها .. ولا أعرف كيف عدت إلى بيتى ولا أعرف كيف تغلبت على ما أصابنى من هذه التجربة .. سوى أننى ظللت يومين بلا قدرة على تناول الطعام .. وثلاثة أيام تقريبًا بلا نوم !

أما التحقيق الصحفى فلم أسلمه للجريدة .. ولقد استغرق الأمر ما يقرب من العشرين عامًا . حتى أستطيع كتابته .

وها هو بين يديكم الآن !

★ ★ ★



كل قصة يمكن أن تروى بطريقتين مختلفتين .. هذه حقيقة يعرفها من امتهن مهنة الكتابة والأدب .. وهى أيضًا «حيلة فنية» قد يلجأ إليها الأديب أحيانًا .. ليشد انتباه القارئ من ناحية .. ويستعرض مهاراته الفنية من ناحية أخرى .

وهذه القصة الحقيقية أرويها لكم بطريقتين .. لا لشىء إلا لأننى احترت بالفعل .. أى من وجهى القصة أكتبه .. وكل وجه يحمل ما يكفى من الإثارة والغرابة ؟

* * *

هو .. رجل شرطة معروف وعندما التقيت به منذ سنوات طويلة لم أصدق أن هذا الوجه الهادئ الحالم هو وجه ضابط الشرطة الشهير الذى تخصص فى مطاردة مهربى تجار المخدرات .

إن البذلة الأنيقة التى يرتديها دائمًا لا يمكن أن تكشف أنه نفس الضابط الذى خاض غمار المعارك الشرسة وهو يتعقب كبار المهربين وتجار السموم .

وسيجارته «المحلية» المشتعلة دائمًا بين أطراف أصابعه تؤكد أنه رجل متواضع رغم رتبته الكبيرة .

وهو يجلس فى حجرة كبيرة واسعة مع عدد من الضباط الشبان المليئين بالفتوة والحماس .. إنهم رجاله وفريقه الذى يعتمد عليه

فى الحرب التى يقودها منذ أن التحق بالشرطة ضد تجار المخدرات .. وخاصة المخدرات التخليقية مثل الهيروين والكوكايين والسوائل والحبوب المخدرة القاتلة هكذا عرفت اللواء (عصام الترساوى) أشهر ضابط مكافحة المخدرات فى مصر .. ومضت الأيام والسنوات لأعرفه أكثر .. وأحبه وأحترمه أكثر .

وسنحت لى الفرصة أن أرافقه ورجاله خلال بعض المطاردات لمهربى المخدرات .. وكنت أراقبه من بعيد وهو يندفع بجرأة وإقدام وسط طلقات النيران ليواجه الخطر والموت بشجاعة فائقة وكلما ألقى القبض على مهرب بدأ التفكير والعمل من أجل القبض على ثان وثالث ورابع ... إلخ .

كان يقول : إنها حرب حقيقية .. وعلينا أن نحاول إنقاذ الشباب من أخطار هذه السموم التى تغرق العالم كله فى دوامة من الضياع والموت البطىء .

وكان يقول : على الضابط أن يعمل فى هذا المجال بإيمان كبير بأن عمله رسالة لا مجرد وظيفة يتقاضى عنها راتبًا فى أول كل شهر .

هكذا عرفت الرجل .. وقدرت لى الأيام أن أعرفه أكثر .

* * *

وذات يوم كان اللواء (عصام الترساوى) قد بدأ فى مطاردة أحد تجار المخدرات وفيما بعد عرفت أن هذا التاجر لم يكن شخصًا عاديًا .. بل كان مهندسًا شابًا تخرج من الجامعة وعمل فى إحدى الشركات .. لكن عمله هذا لم يكن سوى غطاء للتمويه على نشاطه غير المشروع فى تجارة الموت ، وكانت المعلومات تؤكد أن المهرب الشاب .. ورث تجارة السموم عن والده المتوفى منذ سنوات .. والذى كان بدوره تاجر مخدرات عتيدًا .. وعندما مات بدأت زوجته فى إدارة تجارته المحرمة .. وعلمت أولادها أسرار التهريب وتجارة المخدرات حتى أتقنوها جميعًا .. لكن أمهرهم كان المهندس الشاب .. الذى استغل وسامته وثقافته ليكون واحدًا من أخطر المهربين وظل اللواء (عصام الترساوى) ورجاله يتعقبون هذا المهرب المشهور طويلاً .. حتى استطاعوا أن يعلموا أنه سيذهب لنقل شحنة من المخدرات لأحد عملائه فى حى إمبابة .. وفى الموعد المحدد كانوا يحيطون به ويلقون القبض عليه ويضبطون شحنة المخدرات .. وبعد أن ذهب العميد (عصام الترساوى) لتفتيش شقة المهرب الشاب .. عاد إلى مكتبه ليغلق ملف قضية هذا المهرب الذى باشرت النيابة التحقيق معه وأمرت بحبسه وتقديمه إلى المحاكمة وعندما ذهبت إليه .. وجدته جالسًا على مكتبه وحيدًا .. ينظر فى تأثر إلى ملفين .. أحدهما جديد والآخر أوراقه صفراء بليت من مرور السنوات سألته عن الملف الجديد ، قال : إنه ملف المهرب الشاب الذى تم القبض عليه

سألته عن الملف الأصفر القديم .. فابتسم فى غموض .. وأشار لى قائلاً : هذا الملف القديم يخص والد المهرب الشاب .. الذى كان بدوره مهربًا خطيرًا فى أيامه .. منذ سنوات بعيدة .. لم أفهم فنزع ورقة من الملف القديم .. وسمحت لنفسى بالقراءة .. وأنا أرتعش انفعالاً ، قرأت : أثناء مرورى مساء اليوم لمطاردة تاجر المخدرات المعروف .. وتمت مطاردته .. وألقيت القبض عليه وضبطت كمية من المخدرات بحوزته . لم أفهم ، فأشار لى اللواء (عصام الترساوى) لكى أقرأ توقيع الضابط الذى ألقى منذ سنوات بعيدة القبض على والد المهرب الذى قبض عليه اليوم ، نظرت فوجدت التوقيع (الأميرالاى) .. (الترساوى) الذى كان ضابطًا هو والد اللواء (عصام الترساوى) نفسه .. الذى كان ضابطًا يعمل فى مكافحة المخدرات أيضًا منذ سنوات بعيدة .. بعيدة .. الأب ضابط شرطة .. ألقى القبض على الأب تاجر المخدرات ، والابن ضابط الشرطة .. ألقى القبض على الابن تاجر المخدرات إنها أكبر مصادفة غريبة .. هذا هو الوجه الأول للقصة .. وفى السطور القادمة .. الوجه الثانى .. وما أغربه !

* * *

بنت مثل كل البنات . وهى صغيرة لعبت فى الشارع مع الأولاد والبنات ، كانت أكثرهن حيوية ومرحًا وانطلاقًا .. تجرى فيتطاير خلفها شعرها الأسود الناعم .. وترن ضحكتها الحلوة البريئة ..

والأولاد يجرون خلفها .. كأنها « جنية » مسحورة صغيرة خرجت من كتاب حواديت قديمة .

كانت طفلة .. لكن قلبها كان ينبض بالحب . كانت تحب أسرتها .. والجيران والناس .. والحياة كلها .

لكنها عندما وصل عمرها إلى ست سنوات .. وألبستها أمها ملابس المدرسة .. بكت لأول مرة فى حياتها .

سأل المدرس : ما هى وظيفة والدك ؟ ولم تستطع أن تفهم سر الضحكات التى انطلقت فى الفصل عندما قالت ببراءة : بابا حانوتى ! وبكت دون أن تفهم لماذا انقبض وجه المدرس ، وهمس : ياساتر !

* * *

وعندما كبرت تعلمت أن تكذب لتهرب من نفس الموقف .. وفى الإعدادى كانت تقول عندما يسألونها عن مهنة والدها :

ـ والدى مقاول لنقل الاشخاص .

لكنها أبدًا لم تقل إن كان هؤلاء الأشخاص أحياء .. أو أمواتًا ، وفى الثانوى كانت تقول لزميلاتها : بابا .. متعهد توريد .. وبالطبع لاتكمل ولا تفصح عن نوعية عمليات التوريد التى يقوم بها والدها .. وأنه يقوم بتوريد جثث الموتى .. للمقابر !

وكانت تجلس وحدها فى غرفتها بالساعات ودموعها حائرة على وجنتيها .. لماذا تضطر إلى الكذب ؟ وما هو العيب فى مهنة

والدها ؟ إنه رجل طيب بسيط يحب زوجته وأولاده ويحنو عليهم . ثم .. لابد وأن يكون هناك على وجه الأرض من يقوم بمهمة الحانوتى .. وإلا تحولت الدنيا إلى كارثة .

* * *

وفى آخر عام لها بالجامعة .. عرفت الحب . ذهبت مع صديقاتها إلى حفل زفاف زميلة فى أحد الفنادق الكبرى .. وهناك شعرت بأن نظرات أحد الشبان تلاحقها فى كل مكان .. وتورد وجهها بالخجل .. وتظاهرت بأنها تتجاهله ولا تلحظه لكنه فى النهاية اقترب منها برشاقة .. شاب أسمر بلون النيل .. عيناه تفيضان بالحنان .. وشاربه ينطق برجولة واضحة ، قال لها مبتسمًا :

ـ يا آنستى .. أنت تجلسين فى المكان الخطأ .

ردت فى حيرة وبراءة : لكن هذه المائدة مخصصة لى ولزميلاتى !

قال لها : مكانك ليس على المائدة .. مكانك هناك .. فى الكوشة التى تجلس فيها العروس !

بهذه الطريقة وبنفس الأسلوب وفى نفس الليلة .. عرض المهندس الشاب عليها الزواج .. قال بوضوح : إنه مهندس بترول يعمل معظم الأيام فى منطقة البحر الأحمر .. وإنه منذ رآها شعر بأنها المخلوقة التى انتظرها طول سنوات العمر .. وبنفس الوضوح طلب منها عنوان والدها ليطلب يدها منه ، نظرت إليه .. إنه فتى أحلام لأى فتاة

ووجدت نفسها تقول له بصوت خافت : بابا حانوتى ! لكنها فوجئت به يقول لها : وبابا .. تاجر حبوب ! ووجدت نفسها تضحك من قلبها .. كما لم تضحك طوال عمرها . فقالت له : إذن اذهب إلى أبى .. فى مقابر الإمام الشافعي .. وتزوجت من مهندس البترول . ووجدت نفسها تعيش فى سلسلة مفاجآت .. اكتشفت مثلاً أن زوجها المهندس الشاب .. مليونير . كان يسافر معظم أيام الشهر .. ويعود أسبوعًا ليغمرها بالحب والحنان والهدايا .. كانت سعادتها أعظم من أن تعبر عنها .. شيء واحد كان يؤرقها .. أن حماتها وأشقاء زوجها يخفون عنها شيئًا .. إذا دخلت توقفوا عن الحديث .. وإذا خرجت انطلقوا يتهامسون . وشيء آخر .. هم الأشخاص المريبون غريبو الأطوار الذين يترددون على المنزل لمقابلة زوجها فى منتصف الليل . وخرج زوجها ذات يوم فى ساعة مبكرة من الصباح .. فأسرعت إلى الطبيب .. وعادت مسرعة تريد أن تحتضن كل الناس .. وظلت طوال اليوم تنتظر زوجها وعندما دق جرس الباب لم تستطع أن تصمد .. فأسرعت لتقول وهى تفتح الباب : أهلاً يا زوجى الحبيب .. إن لك عندى خبرًا سارًا . لكنها توقفت مرتبكة عندما وجدت أن الطارق ليس زوجها وإنما شخص آخر ، قال لها : أنا اللواء (عصام الترساوى) وانقبض قلبها . أضاف اللواء (الترساوى) :

- سيدتى .. عندى لك خبر غير سار .. لقد قبضنا على زوجك !

* * *

مذهولة منهارة .. جلست تستمع إلى الحقيقة المروعة أن المهندس الشاب ليس إلا تاجر مخدرات محترفًا .. بل إن والده المتوفى ووالدته العجوز وكل إخوته تجار مخدرات معروفون .. واستطاعوا من خلال تجارتهم المحرمة أن يكونوا ثروة لا تقل عن ٣ ملايين جنيه .. وسبق اتهامهم وحبسهم جميعًا فى قضايا مخدرات .. واستطاع مفتش المخدرات أن يحصل على المعلومات بأن المهندس سيقوم بنقل شحنة مخدرات لأحد عملائه فى إمبابة ، وظل اللواء (عصام الترساوى) ورجاله يتعقبون تحركات المهندس الشاب .. حتى تمكنوا من القبض عليه وهو يحمل كيلو هيروين و ٢٠ كيلو حشيش ، وقبل أن يتركها (الترساوى) .. نظر إلى الزوجة الشابة بإشفاق .

وسألها : وأنا أدق الباب .. سمعتك تقولين إن لديك خبرًا سارًا لزوجك .. ما هو ؟

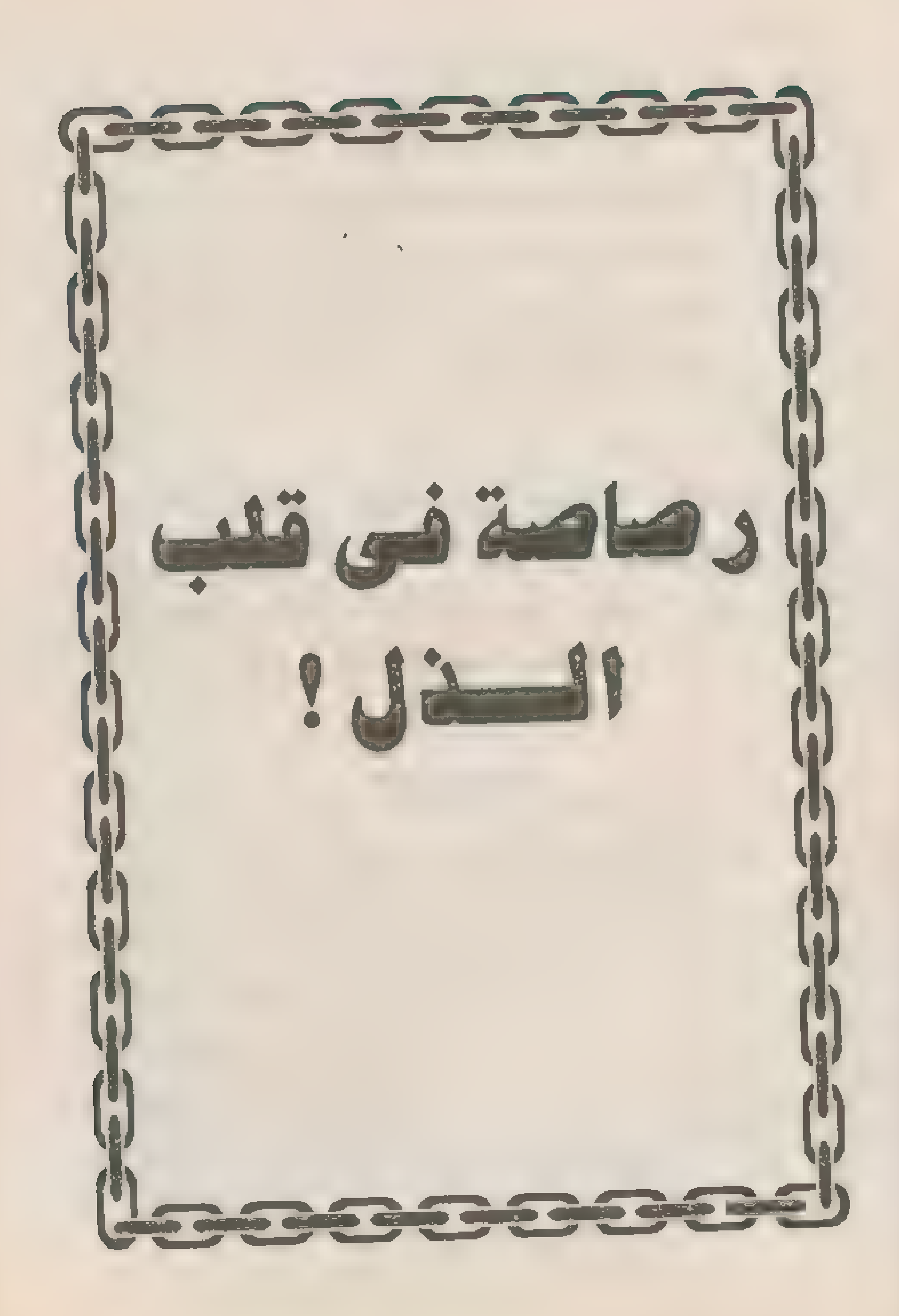
وضعت يديها على بطنها .. انحدرت دمعة سريعة من عينيها .

وهمست : أنا حامل .. فى الشهر الثالث .

ماذا تفعل ؟

هل تنتظر لتلد طفلاً بريئًا ليكون ابن تاجر مخدرات أو تتخلص من الجنين وتخلصه من عذاب جريمة والده التى ستلاحقه طوال العمر ؟

الطبيب يرفض الإجهاض ، ويقول : هذا ضد القانون .. لقد أصبح الجنين كائنًا حيًا ولا يوجد مبرر للإجهاض ..



أما الشيخ الطيـب الواقف علـى بـاب مسجد الإمـام الحسين .. فيقول : يقول الله تعالى :

{ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق } .

تقول : ويكبر ويصبح ابن تاجر مخدرات .

يقول : قال تعالى { ولا تزر وازرة وزر أخرى } صـدق اللّـه العظيم .

* * *

ـ « آلسطه الرباط .. يا ريس »

كانت نداءات البحارة تأتيه عبر الرياح التى تدفع أمواج البحيرة . وهو فى جلسته هذه منذ الصباح لم يتحرك . يعبث بعصا صغيرة فى رمال الشاطئ ، راسمًا خطوطًا متشابكة لا معنى لها ، تمامًا مثل هذه الحياة الكئيبة التى فرض عليه أن يعيشها .

وإنما كان (فضل) يهفو إلى تناول كوب شاى ساخن مع الرجال فى عشة المعلمة (رابحة) المواجهة لشاطئ البحيرة . لكن لا مكان لعاطل فى العشة لا يملك ثمن الشاى أو المعسل . ولا يحمل فى جيوب سراويله سوى الخواء ، وعلى وجهه الأسمر أسارير فقر ويأس .

« ما أشبه الدنيا بهذه البحيرة » !

هكذا كان (فضل) يحدث نفسه وهو يمسح بعينيه آفاق البحيرة الممتدة أمام ناظريه وقوارب الصيادين تظهر ، وتختفى مع الرياح . مليئة الدنيا بالخيرات تمامًا مثل أعماق البحيرة ، لكن الحال على الأرض كما هو الحال عند الصيادين ناس مكتوب عليهم الشقاء والكد وناس لها الخير والرزق الوفير دون تعب أو كلل . ناس تصيد وناس تأكل قانون الأرض هو نفسه قانون البحر ، السمك الكبير يفترس السمك الصغير ويبتلعه فى جوفه دون رحمة أو شفقة » .

ولقد ولد (فضل) ليجد نفسه سمكة صغيرة .. وكانت أسماك الدنيا الكبيرة لا ترحمه فتلتهمه مرة واحدة .. بل تنهش كل يوم بعضًا منه .. وتتركه ينزف .. لتنهش فى اليوم التالى جزءًا آخر .

فتح (فضل) عينيه فى واحدة من قرى النوبة المحيطة بأسوان والتى ترقد فى حضن جبل قديم ليجد نفسه « يتيم القرية » الأوحد . لم يقل أحد شيئًا عن أمه ولا عن أبيه !

ولم يكن له فى يوم من الأيام دار مثل كل الناس ، تأويه وتحميه من برد الشتاء وقيظ الصيف . كانت تلك المنطقة فى نهاية القرية جرداء إلا من نخلة قديمة لا تطرح ثمرًا .. هذه داره ، وكانت السماء غطاءه الوحيد . يومًا تحنو عليه وأيامًا تمطره حرًا أو بردًا ينخر عظامه الرقيقة .

وهو صغير لم يكن يدرك عمق مأساته .

كان يقضى معظم النهار يلهو مع أترابه من أطفال القرية . وعند الظهر عندما كان كل طفل يسرع إلى بيت أهله لتناول الطعام ، كان ينسحب ذليلاً ليطوف دروب القرية باحثًا عن لقمة جافة فى التراب أو ثمرة سقطت من شجرة . وتعلم كيف يصارع كلاب القرية وقططها على هذا النوع من الطعام . والخدوش فى كل جسده تشهد على معاركه الطويلة فى هذا الصدد .

نهض من جلسته متثاقلاً ..

وسار بحذاء الشاطئ فى اتجاه قرص الشمس الذى كان يسقط رويدًا فى مياه البحر ثم توقف بعد خطوات والتفت قبل أن يواصل سيره ناحية « عشة » (رابحة) وقد خفق قلبه وارتعش داخل صدره .

« هل يعرف الفقراء الحبُ ؟ »

هو أكثر الناس إدراكًا أن مثل هذه المشاعر ترف يدعو إلى السخرية إذا شعر بها من لا طعام فى معدته .. وقد عاش (فضل) سنوات طويلة دون أن تكون له حاجة سوى أن ينام شبعان ثم يصبح ليجد فطورا إلى جواره .

وحين كبر بات يعتقد أن الطعام يسىء إلى الإنسان إذا كان متوفرًا وإلا فلماذا لا يجد الغلظة فى المعاملة إلا من هؤلاء « السمان » من شباب قريته الذين يتكدس اللحم أرطالاً فوق عظامهم ؟

على أن أكثر ما كان يؤذيه إحساسه بأنه شخص غير مرغوب فيه . وكان يشعر بمهانة عظيمة ويظل الليالى ساهرًا يلوم نفسه على حبه للناس . لكنه كان فى النهاية ينهض مثل كلب ذليل ويلحق بأية مجموعة من الشباب الذين يحلو لهم السهر . وحين يكتشفون وجوده كانوا يهللون ويجعلونه مادة لسخريتهم وجلسة سهرهم .

الوحيدة التى عاملته كإنسان .. كانت (رابحة) .

ما زال يذكر لقاءه بها بمزيد من العرفان ..

كانت القرية قد آوت إلى نومها مبكرة كالعادة وقادته قدماه إلى الشاطئ وحين وصل العشة كان آخر الرواد قد غادرها .

وبدأت (رابحة) فى تنظيف « العدة » وغسل الأكواب .

وحين لمحته من مكانها . تسمر وعجز عن التقدم ، لكنه فوجئ بها بعد دقائق تخطو نحوه وقد حملت بيدها كوب شاى ساخن ، قدمته له فى رفق فلم يملك سوى أن يتقبله شاكرًا .

وجلست (رابحة) إلى جواره على الرمال فى الظلام . وهو يرتشف الشاى فى صمت وبعد دقائق أشارت له نحو البحيرة .

وقالت : لماذا لا تعمل مع الرجال هناك ؟

فى البداية لم يفهم أو كأنه لم يفهم . ظل ينظر إليها فى ذهول وكأنه يراها للمرة الأولى .

مضت تقول : صدقنى يا (فضل) .. الكل يعلم أننى أكره هذه البحيرة لأنها أخذت منى أبى ، عندما خرج ذات مساء بقاربه للصيد ولم يعد من يومها ، لكن البحر رغم كل شىء خير .. وأنت رجل فلماذا لا تخرج للصيد مثل كل الرجال ؟

ما زال يذكر كل شىء ..

ما زال يتذكر كيف كان لكلماتها راحة وسكينة فى نفسه المعذبة الحائرة . وكيف عاد ليلتها إلى مأواه وهو يشعر بإحساس غريب لم يشعر به يومًا . ظل ساهرًا متوترًا حتى الصباح لا يقدر على النوم ، وعندما أشرف الفجر كان أول الذاهبين من أهل القرية إلى الشاطئ فى انتظار مراكب الصيد العائدة بالرجال . ولا يعرف كيف وجد فى نفسه شجاعة أن يطلب من بعضهم العمل . ضحك البعض منه وسخر . لكن أحدهم عرض عليه أن يحمل صناديق السمك إلى (الحلبة) مقابل « ثلاث بلطيات » كانت أول أجر يتقاضاه فى حياته .

وقبل أن يغادر (الحلبة) باع سمكتين إلى عجوز بربع جنيه . وأصر على أن يحتفظ بالسمكة الثالثة . حملها فى خجل إلى (رابحة) .

وقدمها لها دون أن يستطيع النطق بكلمة واحدة . فأخذتها منه فى دهشة .

لكنها قالت مبتسمة : مقبولة !

ما هذه الحياة العجيبة ؟

ولماذا لا تتسع لأمنيات رجل بسيط ؟

ابتسمت له الدنيا .. لكن ابتسامتها كانت شحيحة . فى البداية داوم على عمله فى مساعدة الصيادين عند وصولهم ، ثم بدأ يرافق بعضهم فى قاربه ليقوم بصنع الشاى وإعداد الطعام للصيادين ، ورغم أنه تعلم كل أسرار الصيد فإنهم لم يسمحوا له بأن يشاركهم الصيد .

وكان يحدق طوال الوقت فى المياه السوداء ويحلم . ويحلم بأنه سوف يطرح ذات يوم شبكته ، فتخرج من الأعماق لؤلؤة ضخمة . يبيعها بآلاف الجنيهات يقدمها مهرًا (لرابحة) وأحيانًا كان يشعر أن (رابحة) نفسها سوف تخرج إليه من الأعماق على شكل « عروس البحر » فتخطفه من وسط الرجال ، وتأخذه ليعيش معها فى مملكة الأعماق .

لكن .. ما أكثر أحلام الفقراء ؟!

ظل يطوف « بمعلمى البحيرة » واحدًا بعد الآخر . ويطلب منهم أن يسمحوا له بالعمل صيادًا على أحد قواربهم .. وكان يلقى الرفض والاستهزاء ، أينما ذهب .

حتى كانت اللحظة التى كان يحلم بها .. بكلمة من المعلم (بسطامى) !

كان المعلم (بسطامى) أحد كبار الصيادين . يمتلك عدة مراكب للصيد يعمل بها عشرات من الصيادين . وحين فوجئ بموافقة المعلم (بسطامى) على إلحاقه بأحد مراكبه لم يناقشه فى الأجرة ولا فى أى شيء . كاد ينحنى على يدى المعلم ليقبلها ممتنا شاكرًا وأسرع إلى (رابحة) يبلغها الخبر السعيد ، أخيرًا سوف يصبح صيادًا . أخيرًا سوف يصبح إنسانًا !

منذ اللحظة الأولى التى صعد فيها (فضل) إلى مركب الريس (بسطامى) لم يسترح إلى نظرات الريس (إبراهيم) ريس المركب الذى كان فى نفس الوقت شقيق المعلم (بسطامى) .

نظر إليه الريس (إبراهيم) شذرًا . وكأنه غير واثق من قدرته على العمل .. وما إن انطلق المركب فى رحلته اليومية ، حتى طلب منه أن يعمل فى نزح المياه التى تتسرب إلى قاع المركب .

ولساعات طويلة ظل (فضل) ينزح المياه فى دلو ثم يقذف بها إلى النهر . حتى كاد ظهره أن ينقصم من كثرة الانحناء . لكن أكثر ما كان يحيره أن قاع المركب لم يفرغ أبدًا .. فقد كان كلما رفع منه المياه وجدها تتسرب من جديد ..

وعندما هبط الظلام وكان قد نال منه الإرهاق . تهالك عند حافة المركب يائسًا .

وفجأة انتبه إلى ضحكات ساخرة جاءته من الناحية الأخرى من المركب . حيث كان الريس (إبراهيم) جالسًا يتبادل أطراف الحديث مع بقية الرفاق (عبد الوهاب) و(حمدان) وهم يشربون الشاى ، وكان الريس (إبراهيم) غارقًا فى الضحك .

بينما كان (حمدان) يقول له : الله يجازى شيطانك يا ريس .. أنت إذن عملتها فى الولد !

وأغمض (فضل) عينيه متظاهرًا بالنوم لكنه استرق السمع جيدًا ليكتشف الحقيقة المؤلمة وكيف سخر منه الريس (إبراهيم) وجعله يشقى ويتعب دون مبرر طوال النهار عندما انتزع سدادة خشبية من قاع المركب كانت السبب فى تسرب المياه طوال النهار قاصدًا من ذلك أن يقتله تعبًا فى عملية نزح المياه .

اسودت الدنيا فى عينيه وكان يظن أن أيام العذاب قد انتهت ، وكان أكثر ما يؤلمه ليس الإهانات والإذلال الذى يلقاه من الريس (إبراهيم) ورفيقه (عبد الوهاب) وإنما لأنه لا يعرف السبب فى اختيارهما له مادة للسخرية وهذه المعاملة القاسية ، كان فى أعماقه يشعر بأنه إنسان وأنه يحب الناس ويتمنى التقرب إليهم .

لكن الآخرين لم يمنحوه قط هذه الفرصة ظنوا طيبته ضعفاً وبساطته استسلامًا ، وكأن الرجل لا يكون رجلاً إلا إذا توحش وعامل الضعفاء بقسوة !

وذهب ذات يوم ليبحث عن العدل عند المعلم (بسطامى) وشكا له من سوء معاملة شقيقه الريس (إبراهيم) الذى أحال حياته على المركب إلى جحيم مستمر .

فأشاح له المعلم (بسطامى) بيده قائلاً : امش يا ولد .. ألا تعرف كيف تكون رجلاً ؟

.. ومشى والأرض تدور وتهتز تحت قدميه النحيلتين .. وقد تفجرت فى صدره كل عذابات حياته . ولم يعد يرى أمامه سوى وجه الريس (إبراهيم) ونظراته الماكرة وسخريته المستمرة منه . وخلفه وجه (عبد الوهاب) وعندما توقف عند الشاطئ وجد الاثنين يصعدان إلى المركب ، ومعهما (حمدان) .

استقبله الريس (إبراهيم) بسيل من الشتائم المعتادة فلم يهتم أو يبال وأخذ يسحب الحبال التى تربط المركب إلى الشاطئ وهو يضغط على أسنانه بقوة . وعندما صعد إلى المركب ، وبينما هو يطوى الحبال ويلقى بها فى أحد الأركان وقعت عيناه على بندقية ملقاة على الأرض . عرف أنها بندقية المعلم (بسطامى) لكنه لم يعرف أن المعلم (بسطامى) كان قد أوصى شقيقه الريس

(إبراهيم) بأخذ البندقية بعد أن عرف ما كان من أمره مع (فضل) وخشى من حدوث شىء .

لمعت عيناه ببريق غريب ..

وهمس لنفسه : إذن .. لقد حانت النهاية !

صار العمل عاديًا طوال اليوم .

وعندما هبط الظلام آوى الجميع إلى النوم ، ما عدا (فضل) وكانوا قد ألقوا بمرساة المركب فى منطقة خور مضيق البحيرة .

كانت لحظة نام فيها الجميع .. إلا الشيطان .

وعندما تأكد (فضل) من نومهما نهض من مكانه فى صمت ليلتقط البندقية وسار فى الظلام إلى الجهة التى يرقد فيها الريس (إبراهيم) وإلى جواره (عبد الوهاب) كان الاثنان مستغرقين تماما فى النوم وقد ارتفع شخيرهما .

ورفع (فضل) البندقية فى الهواء ..

ثم صوب فوهتها نحو جسد الريس (إبراهيم) وأغمض عينيه .

ثم ضغط على الزناد دوى صوت طلقة الرصاص عاليًا .. لتستقر

فى قلب الرجل النائم الذى لم يصدر عنه أى صوت سوى أن شخيره انقطع !

وفى اللحظة التالية كان يطلق طلقة أخرى قاتلة على (عبد الوهاب) ليلقى مصرعه فى الحال !

انتفض (حمدان) من نومه فزعًا على صوت طلقات الرصاص .. وأسرع يستطلع الأمر ليقف مذهولاً أمام الجثتين اللتين كانت الدماء النازفة منهما قد غطت سطح المركب .

وعندما نظر وجد (فضل) الذى كان قد قفز إلى الشاطئ واقفًا وهو يمسك البندقية فى يده والشرر يتطاير من عينيه .

صرخ فيه : ليه كده يا (فضل) .. قتلتهما ليه ؟

وفى نفس اللحظة كان (فضل) يفرغ البندقية من الرصاص ليعيد تعبئتها من جديد .. فاعتقد (حمدان) أنه يريد أن يقتله هو الآخر . فأسرع بالهرب إلى باطن المركب . وعندما صعد بعد دقائق اكتشف أن (فضل) اختفى من مكانه عند الشاطئ .

لم يستطع (حمدان) أن يتحمل النظر إلى الجثتين فأسرع وهو يرتعد ليسحب المرساة ويطلق الشراع .. وعند الفجر كان قد وصل إلى شاطئ القرية . ليعلن لأهلها خبر الجريمة وهروب (فضل) .

لم تكن رحلة هروب (فضل) سهلة ..

★ ★ ★

كانت دموعه قد تفجرت وهو يجرى مثل حيوان خائف فى قلب الظلام حاملاً البندقية ، ومشاعر شتى تتصارع فى صدره .. من ناحية كان يشعر بأنه انتقم للهوان الذى عاشه طوال عمره بلا مبرر ومن ناحية أخرى كان خائفًا من أن يعثر عليه أهل المعلم (بسطامى) فيقتلونه ثأرًا لمقتل الريس (إبراهيم) هذا غير أنه كلما تذكر أنه أصبح قاتلاً يكاد عقله ينفجر .

ظل يعدو فى جنون ..

لم يعرف أى اتجاه ينطلق نحوه . لكنه لم يستطع التوقف ، وعندما شعر بأن قدميه لم تعودا قادرتين على تحمله توقف برهة ليلتقط أنفاسه . وكاد ينام من الإرهاق لولا أن هب الفزع عندما أحاطت به فجأة أصوات الذئاب التى كانت تبرق فى العتمة من حوله .

وعندما جاء الفجر ..

كان قد اكتشف أنه وصل إلى خور السيالة ومن بعيد شاهد أحد أكواخ الصيادين ، لكنه قبل أن يصل كان قد سقط مغشيًا عليه قبل خطوات من باب الكوخ .

وعندما استيقظ وجد نفسه نائمًا داخل الكوخ .. وصاحبه الذى كان صيادًا يدعى (الخضرى) يقدم له مشروبًا ساخنًا .

سأله (الخضرى) عندما لاحظ أنه أفاق : من أنت يا بـن العم ؟ ومن أين أتيت ؟

خشى أن يقول الحقيقة ..

فقال فى ارتباك : لقد جئت من اتجاه صحراء السودان .

سأله الصياد (الخضرى) : ولماذا هذه البندقيـة التى كانـت إلى جوارك وماذا كنت تفعل فى السودان ؟

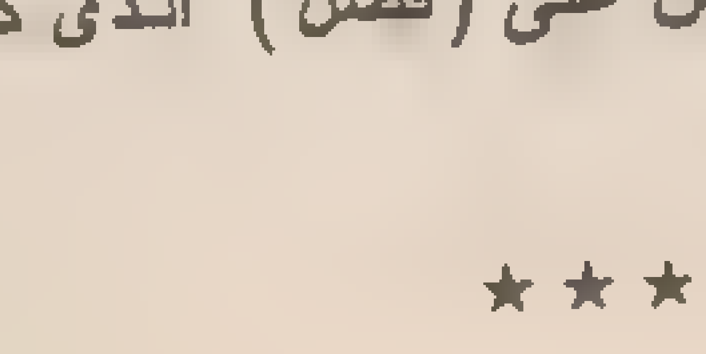
قال : ذهبت لإحضار بعض البضائع المهربة ، لكن بعض الأعراب قابلونى فى الطريق واستولوا عليها !

هز الصياد الطيب رأسه .

وقال له : يعوض الله عليك خيرًا .

بعد أيام ..

كان ضابط الشرطة المقدم (شوفان) يقود فريقًا من رجالـه للبحث عن القاتل الهارب .. وتقول أوراق القضية : إن رجال الشرطة انتشروا بالقوارب على طول وعرض البحـيرة ، حتى عثروا على كوخ الصياد (الخضرى) وتمكنوا من القبض على (فضل) الذى كان مختبئًا خلف أجولة غزل الصيد !



جـريمـة ..

البحث عن الكنز !

الست (نعيمة) سيدة طيبة للغاية .

إن كل ذرة فى جسمها الضخم المترهل تهتف بحبها للخير وللناس .. ضحكتها صافية رائقة .. وصوتها مرتفع ومميز ، وفمها .. آه من فمها إنه مشغول دائمًا بالحديث .. فهى لا تتوقف عن الكلام .. إلا لكى تأكل .. ثم تعاود الكلام مرة أخرى .

ولقد تقبلت جارات الست (نعيمة) هذا الأمر بطيب خاطر .. ليس لأنها صاحبة البيت وهن مستأجرات لديها . ولكن لأنهن يعلمن فعلاً كم هى طيبة وتحب مصادقة الناس .. والحديث معهم .

وكانت الست (نعيمة) تتحدث فى كل شىء وكل موضوع يخطر على بالها .. لكن موضوعها المفضل وحديثها المحبب .. كان يدور حول محور واحد : الذهب !

* * *

كان (الذهب) صديقها الوحيد فقد عاشت هذه الأرملة الضخمة حياة طويلة عريضة . بدأت منذ تزوجت وهى فتاة صغيرة فى القرية . صحبها زوجها إلى القاهرة حيث انتقل ليعمل ويستقر مثل آلاف القرويين الذين جاءوا إلى العاصمة بحثًا عن فرص العمل .

وعاشت الست (نعيمة) مع زوجها الذى كان يعمل فى مهنة البناء . وبعد سنوات مع الكفاح والعرق أصبح مقاولاً وكون ثروة لا بأس بها . واشترى قطعة أرض فى منطقة دار السلام القريبة

من المعادى بنى فوقها عمارة . وعاش حياة هادئة مع زوجته .. ولم يكن ينغص عليه هذه الحياة سوى عدم قدرته على الإنجاب فحاول تعويض زوجته بالمعاملة الطيبة وبإغداق الهدايا عليها .. وكانت معظم هداياه إليها مجوهرات ومصوغات ذهبية .

ومرت سنوات العمر بسرعة .. وكبر الزوجان .. لكن الشيخوخة كانت أسرع فى الوصول إلى الزوج المكافح ، وسرعان ما بدأ يعانى من الأمراض . ولم يحتمل جسده الذى عانى فى مهنة البناء الشاقة فرقد طريح الفراش ..

وبعد شهور . رحل عن الدنيا تاركًا أرملته لوحدتها .. وللعمارة .. والمصوغات الذهبية .

* * *

كان الزوج الراحل دون أن يدرى قد غرس فى نفس زوجته حبًا لا يقاوم للذهب .. فقد كانت الأرملة الضخمة تتباهى بارتداء مجموعة هائلة من الأساور الذهبية فى كلتا يديها .. وينوء عنقها بأحمال من السلاسل والعقود الذهبية .. وتكاد أذناها أن تسقط من مكانها .. لثقل القرطين الذهبيين الهائلين اللذين ترتديهما وكان حديثها المفضل مع جاراتها .. كم وصل سعر جرام الذهب اليوم .. وكم تساوى مصوغاتها .. وماذا حدث فى المرة الأخيرة عندما ذهبت إلى محل الصائغ لشراء المزيد من المصوغات .

وذاعت شهرة الست (نعيمة) وحبها للذهب وسط جيرانها .. حتى إنهم أطلقوا عليها فى السر «مدام ٢٤ قيراط» !

★ ★ ★

وذات يوم جاءتها إحدى صديقاتها بخبر مثير ..

قالت لها : لماذا لاتستدعين الشيخ (مرسال) ليقرأ لك طالعك ؟

سألتها الست (نعيمة) : ومن هو الشيخ (مرسال) ؟

قالت الصديقة بدهشة : ألاتعرفينه ؟ إنه شيخ مبروك .. ولديه قدرة عجيبة على الاتصال وقراءة الطالع هذا إلى جانب قدرته على شفاء المرضى .

قالت (نعيمة) بحسرة : ومن أين لى بمثل هذا الرجل لينقذنى من آلام ظهرى التى تكاد تمنعنى عن الحركة ؟

قالت الجارة : لاتقلقى إنه يسكن بجوار منزل إحدى قريباتى فى حى حلوان . وسأرسل لها لتستدعيه .

قالت (نعيمة) : أكون ممتنة لك .. لكن حبذا لو ظل الأمر سرًا .. فلاتخبرى صديقاتنا .

ردت الجارة : عيب .. السر فى بئر .

وفى مساء نفس اليوم كانت جميع الجارات يعلمن أن الشيخ (مرسال) مطلوب فى منزل الست (نعيمة) .

★ ★ ★

وطرق الشيخ مرسال باب الست (نعيمة) ذات صباح .. وعندما فتحت له أصيبت بصدمة .. كان العجوز الذى تعدى الستين من عمره رجلاً قبيحًا . يحمل وجهه كل سمات الدمامة والقبح . عينان جاحظتان وتجاعيد ملتوية وأذن هائلة تسبق وجهه بأمتار .

وكان مثل كل المشعوذين يرتدى ثيابًا قديمة ممزقة . ويحيط رقبته بعدد كبير من (السبحات) الملونة .

قالت له : تفضل .

وما كاد الشيخ مرسال يضع قدمه فى البيت حتى أطلق صيحة هائلة وظل يترنح يسارًا ويمينا وهو مغمض العينين .

ثم صرخ فى وجهها : مسعودة .. أنت وموعودة .

لم تفهم شيئًا .

عاد يتمتم ويغمغم بكلمات غير مفهومة وهى تنظر إليه حائرة .

وعاد يرفع صوته القبيح : يا (نعيمة) يابنت فهيمة .. الناس كلها تلهث من أجله .. وأنت تدوسينه بقدميك .. هذا حرام .

همست متوسلة : ماذا تقول يا سيدنا ؟

صرخ : لماذا يا (نعيمة) وأنت لست لئيمة .. لماذا تدوسين على النعمة ؟ ألا تدرين أن هذا قد يقودك إلى نقمة ؟

قالت (نعيمة) وقد بدأ جسمها الضخم يرتعش من الفزع والحيرة : السماح يا سيدنا . لكن من فضلك اشرح لى ما هو الذى يلهث خلفه كل الناس وأدوسه أنا بقدمى ؟

نظر إليها بحدة ثم قال : الذهب .

ردت غير مصدقة : الذهب ؟

ـ قال المشعوذ : نعم .. الذهب الأصفر .. الذى لولاه ما جاء أحد أو ذهب .

سألته : ماذا تقصد ؟

أغمض عينيه وقال : يا مسكينة يا طيبة .. أتعلمين ماذا فى باطن هذه الأرض التى تسيرين عليها .. هناك فى بيتك هذا ؟

سألت بلهفة : ماذا ؟

قال المشعوذ : فى بيتك كنز .. و ... لم يكمل .

فقد سقط الجسم الضخم ورقدت الست (نعيمة) على الأرض مغشيًا عليها .

* * *

عندما أفاقت من أغمائها .. جعلت تحدث نفسها : ممكن أن يكون هذا المشعوذ كاذبًا .. أو محتالاً ويريد أن يخدعنى بهذه القصة الوهمية .

لكن جشعها وولعها بالذهب يجعلها تهمس لنفسها : وماذا لو كان صادقًا .. وماذا يمنع من وجود كنز ذهبى فى باطن الأرض أسفل بيتى ؟

وهنا .. أرادت أن تقطع الشك باليقين .

فقالت للشيخ مرسال : وما هو دليل كلامك ؟

صرخ فيها : لولا أنك طيبة وحسنة النية ما قبلت منك هذا الشك .. لكن على أى حال سأريك الدليل .

* * *

وبواسطة سكين حاد أخذ العجوز يحفر الأرض وهو يتمتم بعبارات غير مفهومة .. ثم مد يده إلى الحفرة الصغيرة التى أحدثها فى الأرض وأخرج شيئًا وضعه فى يد الست (نعيمة) .. وعندما فتحت الست (نعيمة) يدها وجدت فى يدها بعض العملات الذهبية .. وللمرة الثانية فى دقائق .. أغمى عليها .. وأحدث سقوط جسدها الضخم على الأرض صوتًا هائلاً .

* * *

بقية القصة حدثت بسرعة كبيرة .. اتفق الشيخ مرسال مع الست نعيمة على أن يحضر مجموعة من العمال لحفر الأرض واستخراج الكنز . لكنه قال لها : أنا لا أريد شيئًا لنفسى .. لكن تكاليف الحفر أغلى من تكاليف البناء ومطلوب ١٠ آلاف جنيه للعمال الذين سيحفرون الأرض لاستخراج الكنز .

سألته الست (نعيمة) بريبة : لكن هذا مبلغ كبير .. وما أدرانى بقيمة الكنز ؟

قال لها : يا جاهلة ترفضين دفع مبلغ ١٠ آلاف جنيه مقابل الحصول على قدرتين هائلتين مليئتين بالعملات الذهبية ؟!

وقبل أن يكمل صاحت : موافقة .. وسأحضر لك المبلغ غدًا .. عندما يحضر العمال .. ويستخرجون الكنز .

وفى صباح اليوم التالى .. كان الشيخ مرسال يدق باب الست (نعيمة) ومن خلفه بعض العمال .. وبمجرد أن دخل حتى دق باب الست (نعيمة) .. وأسرعت تفتح فى دهشة لتجد ستا من جاراتها يحطن بالباب ..

وقالت إحداهن : لا داعى للمراوغة أو الإنكار .. لقد سمعت بالصدفة حديثك أمس مع الشيخ مرسال وعرفت كل شىء

عن الكنز .. وليس من حقك الاستيلاء عليه بمفردك .. فنحن جاراتك ونسكن نفس البيت .

صاحت الست (نعيمة) : لكن البيت ملكى .. والأرض أرضى ..

لكنها فوجئت بالشيخ مرسال يقول : اسمحى لى أن أقول لك إن جاراتك على حق ويجب أن يكون لهن نصيب فى الكنز .

ابتسمت الجارات فرحًا .. بينما انقبض وجه الست (نعيمة) بتكشيرة كبيرة .

وعاد الشيخ مرسال يقول للجارات الست : لكن ما دام سيكون لكُن نصيب فى الكنز يجب أن تتحملن نصيبكن من المصروفات وأن تدفعن ٥ آلاف جنيه لتكاليف الحفر ..

ووافقت الجارات على الفور .. وأسرعت كل منهن تحضر مبلغًا من النقود حتى تجمع فى يد الشيخ مرسال مبلغ خمسة آلاف جنيه غير العشرة آلاف التى أخذها من الست (نعيمة) .

وبدأ العمال حفر أرض المنزل والست (نعيمة) وجاراتها الست ينتظرن فاقدات للصبر .

وأخذت الحفرة تتسع شيئًا فشيئًا ثم فجأة أطلق الشيخ مرسال عاصفة من البخور كادت أن تغلق عيونهن .

وفى نفس الحظة صرخ أحد العمال : انظر يا سيدنا واشرأبت أنظار الست (نعيمة) وجاراتها وكادت أنفاسهن أن تتوقف من الفرحة .. عندما أخرج العامل من الحفرة قدرتين ضخمتين .

وانصرف الشيخ مرسال وعماله .. وجلست الست (نعيمة) وجاراتها فى ذهول أمام القدرتين .

وقالت واحدة : ماذا سيكون نصيبك .. ونصيب كل منا ؟

صرخت الست (نعيمة) : لى الثلثان .. ولكن الثلث .

صاحت الجارات : لماذا ؟

قالت (نعيمة) : لقد دفعت وحدى ١٠ آلاف جنيه من تكاليف الحفر وهو ضعف المبلغ الذى دفعته للشيخ مرسال .. ولا تنسين أن الأرض أرضى وفوقها بيتى .

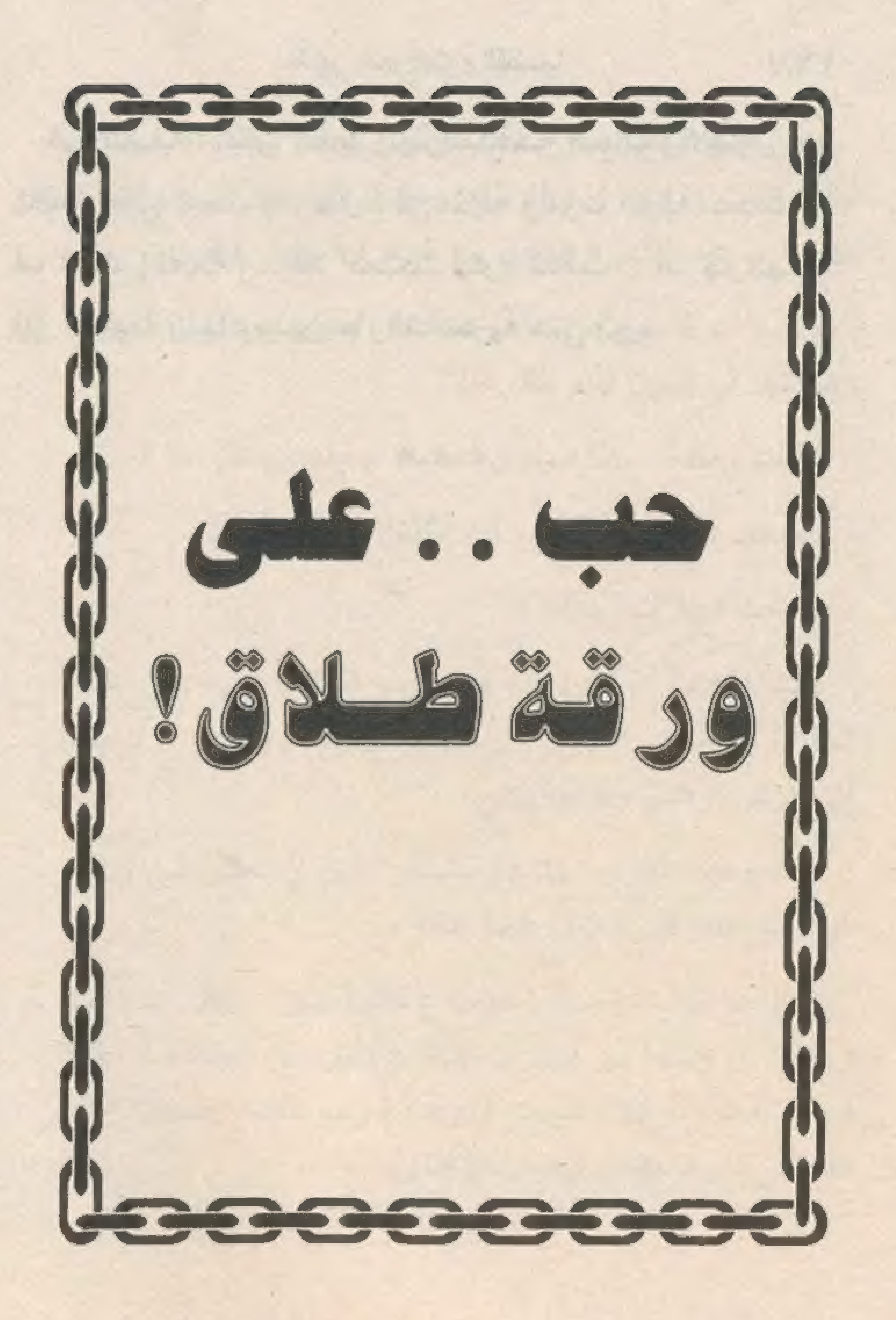
قالت واحدة أخرى : ولماذا نتشاجر قبل أن ننظر فى الكنز .. هيا نفتح القدرتين لنعرف قيمة الكنز ..

وعندما فتحت الست (نعيمة) القدرتين .. ونظرت داخلها وجعلت كل واحدة من الجارات تنظر وتتأمل ساد الصمت لدقيقة .. ثم ارتفعت صرخات الست (نعيمة) وجاراتها .. فلم يكن فى القدرتين سوى بعض الحجارة والطين !

* * *

فى النهاية : تمكن السيد رئيس مكافحة النصب والاحتيال من القبض على الدجال (مرسال) فى منزله وأمرت النيابة بحبسه .. أما الست (نعيمة) .. فقد أصبحت تكره الذهب .. أما جاراتها .. فإن القطيعة بينها وبينهن ما زالت سارية حتى اليوم .

* * *



سيدى القاضى ..

لعل عدالة المحكمة .. لم تشهد من قبل حالة مثل حالتى .. لقد جئت ياسيدى إلى المحكمة وكأنى أسير حافية على طريق مفروش بالأشواك الدامية .. لكن الجرح النافذ فى أعماقى ، تهون أمامه كل الجراح السطحية .. جئت اليوم يا سيدى القاضى أطلب الطلاق من الرجل الذى أحبه .. والذى ما زلت حتى هذه اللحظة أدين له بكل معانى التقدير والحب الصادق .. فهل يتسع صدر المحكمة لحكايتى ؟

هكذا بدأت الزوجة التى تشغل منصب مدير عام إحدى الشركات حكايتها ، عندما وقفت أمام هيئة محكمة القاهرة للأحوال الشخصية .. هى امرأة فى منتصف العمر .. أنوثتها تنافس وقارها .. وجمالها يصارع هيبتها !

قالت : التقيت به منذ حوالى ١٥ سنة .. ومن اللحظة الأولى شعرت أن هذا الرجل ، قدرى ، وطريقى المحتوم .. من اللحظة الأولى أحببته ، عشقت فيه رجاحة عقله وخبرته بالناس والدنيا وطموحه الذى يناطح السحاب ، كنت سعيدة بحبى له وكنت أسعد امرأة على ظهر الأرض عندما اكتشفت أنه يبادلنى الحب ، وسرعان ما تزوجنا وضمنا بيت فسيح سعيد ، وعشنا السنوات كأنها دقائق ، السعادة ترفرف على حياتنا وتظللها ، ورغم أننا لم نرزق بالأولاد ، إلا أن زوجى كان دائمًا يحرص على ألا تتسلل ذرة حزن إلى حياتى .

تلتقط أنفاسها .. وتتغير ملامح وجهها تدريجيًا .. إلى الحزن .. إلى المرارة .

وتكمل حكايتها ، وذات مساء عاد زوجى فرحًا وهو يخفى شيئًا خلف ظهره .

قال : أغمضى عينيك .

وأغمضت عينى .. ثم فتحتها لأجده يقدم لى خاتمًا ماسيًا لا يقل ثمنه عن ١٠ آلاف جنيه .. كانت عيناى تسألان عن المناسبة .

فقال : كل سنة وأنت طيبة يا حبيبتى .. اليوم عيد ميلادك الأربعين .

يا إلهى .. ما أسرع ما تمر بنا السنوات .. ما أسرع قطار العمر ! ولم أنم ليلتها يا سيدى القاضى .. ليس من الفرح .. بل من الخوف والذعر .

* * *

أربعون عامًا ، مضت .. فكم يتبقى من العمر ؟ ولم يكن هذا هو السؤال الذى أطار النوم من مخدعى بل حدث لى شىء غريب لقد عشت حياتى حتى الآن مثل أى فتاة صغيرة .. عاشقة لزوجها متفانية مخلصة فى حبه .. جربت كل المشاعر .. إلا مشاعر الأمومة ..

فجأة يا سيدى القاضى استيقظت فى أعماقى غريزة الأمومة .. واشتعلت فىّ الرغبة فى أن أكون أمًّا .. أن تنتفخ بطنى .. أن أشعر بالجنين يتحرك داخل أحشائى أن أعانى فى ولادته ، أن أحمله بين يدى ، أحتضنه فى صدرى وأرضعه من ثديى .. نعم .. أريد أن أكون أما أن أعيش الأمومة .. وفى الصباح وبعد أن غادر زوجى البيت أسرعت إلى الطبيب .

قال لى الطبيب : سيدتى .. لاشىء بك .. وإن كان هناك خطأ .. فلابد أن يكون من زوجك .

* * *

كان انفعالها قد اشتد .. ووقفت تهتز مثل شجرة فى مهب الريح ..

وقالت : وكان لابد أن أتخذ قرارى .. أنوثتى فى مقابل أمومتى وسعادتى وحبى لزوجى مقابل أن أمارس غريزتى كأم .. قبل أن أصل إلى سن اليأس ويصبح ذلك مستحيلاً .. وهكذا يا سيدى القاضى جئت لأقف أمام عدالة المحكمة .

أول امرأة تطلب الطلاق من زوجها لأنه عقيم .

وتعود الزوجة الحسناء .. لتجلس أو تسقط فى مقعدها .. بينما يقف وكيل أول نيابة القاهرة للأحوال الشخصية .

قال وكيل النيابة : إن قانون الأحوال الشخصية الجديد لم يدخل العقم ضمن الأسباب التى وردت فيه على سبيل الحصر - والتى تجيز للمحكمة الحكم بتوافر إحداها للتطليق - وإن إصابة الزوج بحالة العقم وإن كان يشكل ضررًا للزوجة ، إلا أنه أمر لا إرادى لا دخل لإرادة الزوج فيه ؛ لأنه قدر مكتوب عليه .. ولذلك ترى النيابة العامة رفض دعوى الزوجة وعدم الحكم بطلاقها وترفع الجلسة للمداولة .

ويعود القضاء بعد قليل إلى المنصة .

ينطق القاضى بالحكم : ترفض دعوى الزوجة ولا يحكم لها بالطلاق وتلزم بالمصروفات .

وترتفع غمغمة بين الحاضرين فى قاعة المحكمة لكن أحد الأصوات يعلو مناديًا :

- سيادة القاضى .. عندى كلمة !

ويتقدم من المنصة رجل وسيم تنم ملابسه الأنيقة عن ذوق .

ويقول : أنا ذلك الزوج .. أنا هذا الرجل الذى طلبت زوجته الطلاق لأنه لا يستطيع الإنجاب .. لقد أحببتها بصدق .. وتزوجتها رغم معارضة أسرتى للفارق الاجتماعى .. وعشت معها أحلى سنوات العمر حتى فاجأتنى بمسألة رغبتها فى الإنجاب .. إنى يا سيدى أستطيع أن أحضر لها كل شىء حتى « لبن العصفور » لكن ما حيلتى وقد حرمنى الله من القدرة على الإنجاب .

واستدار الرجل نحو الجالسين وكانت عيناه قد امتلأتا بالدموع وساد صمت غريب .. وكأن الحاضرين قد حبسوا أنفاسهم احترامًا لدموع الرجل .

نظر إلى زوجته .. وبصعوبة خرجت الكلمات مختنقة .. مبللة بدموعه .

قال لها : أما أنتِ يا سيدتى فلأنى أحبك ولأنى ما زلت أتمنى لكِ السعادة .. ورغم قرار المحكمة يا زوجتى الغالية .. أنت طالق .. طالق .. طالق !

* * *

أشهر الحوادث والقضايا

الحوادث العنيفة والقضايا المثيرة التى روّعت الناس وصدمت المشاعر

فهرس الكتاب « هارب من الإعدام »



الثمن فى مصر ٣٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى

فى سائر الدول العربية والعالم



مطابع

المؤسسة العربية الحديثة